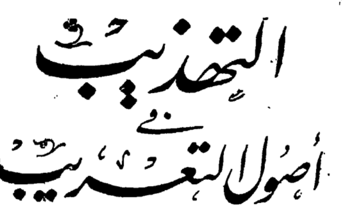
التهذيب

في

أصول التعريب

للدكتور أحمد عيسى بك

كتاب



تصنيف

الدكتور
أحمد بك عيسى

الطبعة الاولى

القاهرة

سنة ١٣٤٢ هـ ١٩٢٣ م

مطبعة مصر . شركة مساهمة مصرية

الى محيي دولة الادب ، ومجدد عهد النهضة ، ومشيد صروح العلم ،
شبل اسماعيل ، صاحب الجلالة

فؤاد الاول

ملك مصر

اهدى هذا الكتاب

مولاى ، هذه باكورة من ثمار عنايتك ورعايتك وتشجيعك سيتلوها
ان شاء الله غيرها فتقبلها

من العبد المطيع
الدكتور احمد عيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وتفضل من جميل الهداية والتوفيق، والشكر على ما أسدى من حسن الرعاية والاعانة على التحقيق، والصلاة والسلام على أفصح العرب، الذى أوتى جوامع الكلم ومجامع الحكم

وبعد فقد دأبت منذ عهد الحداثة فى قراءة كتب الادب والامعان فى مطالعة فقه اللغة، فنزعت من ذلك الحين الى حب الترجمة والتأليف، فصنفت بعض الكتب ونقلت بعضها الى العربية، فصادفت أثناء مزاولتى هذا العمل من العقبات والصعوبات ما يحتاج لتذليله الى مشاق كبيرة لا يقدرها أو يشعر بها الا من كابد هذا الطريق الوعر وسبر غوره، وكانت العقبات أمامى عقبتين : الاولى قلة المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الاعجمية، والثانية تعريب بعض ما اقتضى تعريبه من المصطلحات التى لا يمكن ايجاد لفظ يقابلها ويحل محلها، فأما العقبة الاولى فقد بذلت الجهد فى تذليلها وسأعود الى شرحها فى المعاجم التى وضعتها خاصة لها، وأما العقبة الثانية وهى تعريب الالفاظ التى لا بد من تعريبها فقد ملكت ناصيتها بما فعلته من لم شعثها وضبط شواردها ووضع قواعد لها تكاد تكون ثابتة، وذلك بما انتزعته من الاستقراء الوافر والاستقصاء المتواتر

ان العرب فى ابان نهضتهم لما احتاجوا اليه من اقتباس شىء من علوم الأمم المتحضرة التى تقدمتهم اضطروا بحكم الضرورة الى تعريب الكثير من الالفاظ فى مختلف العلوم، سواء كانت أعلاماً على بلدان أو على أشخاص أو أسماء معانى لا مدلول لها فى لغتهم، أو أنهم خافوا على تلك الالفاظ من الالتباس ان هم ترجموها ولم يوجدوا اللفظ الاعجمى بجانبها يوضحها، فقضت ضرورة الحال بتعريبها وادماجها فى لغتهم، ولما كان لسان العرب وحروفهم ومنطقهم تختلف كل الاختلاف عن مثيلاتها فى ألسنة الأمم الاخرى وجب أن تكون الالفاظ التى

يقتبسونها مماثلة فى مخارج حروفها الى لغتهم سهلة الجرى على ألسنتهم ، حتى كانت الكلمة الاعجمية لا تفرق فى الغالب من الكلمات العربية الاصيلة وفى بعض الاحيان يصعب تمييزها وبيان أصلها ، وهذا فى الحقيقة ونفس الأمر براعة منهم وخدمة جلى للغتهم حتى تتسع وتكفى ضرورات العلم المتزايدة دون أن يختل ميزان نطقهم أو تشوه بالرطانة لغتهم . والناظر الى هذه المسألة قد يستسهلها فى بادىء الأمر ويستقل قيمتها العلمية ، والحقيقة أنها من الأهمية بمكان وأنه لا يستغنى عنها ليس من وجهة النطق فقط بل منعاً للخلط والاختباط أيضاً. فان الذى نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا تعدد مناهج التعريب ، فهذا يعرب الكلمة على هذا الوجه وذلك يضعها على هذا المنحى ، فتختلف الأوضاع والمسمى واحد ، ويصبح البلد بلدين والشخص شخصين وهكذا ، وفى ذلك ما فيه من الخلط والتشويش ، دع عنك ان الكلمة المعربة على هذه الوجوه المختلفة قد يصعب جداً أو يستحيل ارجاعها الى أصلها المنقولة عنه ما دامت قد عربت على غير قاعدة ، وفى ذلك من اضطراب العلم مالا يخفى

أما الطريقة التى اتبعتها فانى بعد المطالعة الطويلة فى علوم العرب على اختلافها استقريت جميع الكلمات الأعجمية التى فيها استقراء طويلا وقارنت بينها وبين مدلولاتها الأعجمية فى لغاتها ، واستخرجت من ذلك حقائق وطابقت بينها وبين خصائص اللغة ، واستخلصت من ذلك قواعد يسار على منهاجها وينسج على منوالها ، حتى اذا ترجم فى مصر كتاب وترجم الكتاب بعينه فى الشرق أو فى الغرب حيث الكتابة بالحروف العربية خرجت الالفاظ المعربة فيها كلها بشكل ونسق واحد مهما اختلفت البلدان وتعددت اللغات

على أن فن التعريب قد جرى عليه العرب من تلقاء أنفسهم بسليقتهم وفصاحة ألسنتهم وقوة جنانهم وسرعة خواطرهم وذكاء قرائحهم ، ومرشدهم الى ذلك اعتدال لسانهم وفصاحة منطقهم . فجروا على وتيرة تكاد تكون واحدة حتى ماثل المعرب الاصيل من لغتهم . وقد كان تعريبهم من لغات العلم والمدنيات

القديمة فى عصرهم وهى الهندية والفارسية واليونانية ولا أذكر السريانية لقربها من العربية . فجاء المتأخرون بعد الصدر الاول ودونوا المعرب والدخيل، وذكروا أمام كل لفظ انه أعجمى معرب ، وقليلا ما يذكرون ان كان فارسياً أو هندياً أو يونانياً الخ، وان ذكروا أحياناً ففيه من التخليط مايسهل ادراكه. ثم انهم أصحبوا ذلك الاشارة الى بعض التغيير والتبديل الذى يلحق الكلمة الفارسية بتعريبها، ولم يذكروا سوى ذلك ولم يتعدوه الى لغة غير الفارسية، وأهملت طرائق العرب فى التعريب فى العصور المتأخرة اهمالا تاماً حتى كانت الالفاظ المعربة هى الى الرطانة أقرب منها الى الاسلوب العربى، ولم يشر أحد من المتقدمين فى جميع العصور الى كيفية الاخذ عن الاغريقية أو اللاطينية الى أن أتيح الى العالم سليمان البستانى نقل الياذة أوميرس شعراً الى العربية، فذكر ضمن فذلكة فى مقدمة كتابه بعض القواعد التى تتبع فى التعريب ، فقال ضمن قوله انه اختار الغين للجيم الاعجمية والباء لتحل محل الباء الفارسية، والحقيقة انه نقلها عن المتقدمين ولم يكن هو المخترع لها ثم خلط فى بعضها، وقد عن لى أن أسبق هذه القواعد والاصول بمقدمة فى تاريخ اللغة العربية من عهد تكونها من اصوات تحاكى الطبيعة الى أن بلغت بفرط ذكاء العرب وجودة قرائحهم من الدقة والرقة واللطف والارهاق حداً ليس وراءه غاية

وقد جعلت هذا الكتاب مقدمة لما سيتلوه من المعاجم الخاصة والعامة ليكون أساساً متيناً للنهضة العصرية المباركة

وقد كان اعتمادى فى وضعه على جملة صالحة من الكتب القيمة فى مختلف العلوم واللغات لو ذكرتها لشغلت صحفاً عديدة أولى بها الكتاب وانما ذكرت بعضاً منها فى ذيل كل صحيفة . والله المسؤول أن ينفع به الناس بقدر ما كان من حسن النية وبذل الجهد فى جمعه وتدوينه

شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٢ — الدكتور احمد عيسى

المطابق أكتوبر سنة ١٩٢٣

باب القول فى اصل اللغة العربية

اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم، واختلف العلماء فى اصلها أهى وحى وتوقيف أم هى تواضع واصطلاح بين أفراد النوع الانسانى، وانا لنذكر ما قالته العرب فى ذلك ونضيف اليه ما انتزعناه بالاستقراء . قال أبو الفتح عثمان ابن جنى [١] : هذا موضع محوج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح لا وحى ولا توقيف ، الا أن ابا على [٢] رحمه الله قال لى يوماً هى من عند الله واحتج بقوله سبحانه « وعلم آدم الاسماء كلها » وهذا لايتناول موضع الخلاف وذلك أنه قد يجوز ان يكون تأويله أقدر آدم على أن واضع عليها وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فاذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به وقد كان أبو على رحمه الله أيضاً قال به فى بعض كلامه وهذا أيضاً رأى أبى الحسن [٣] على أنه لم يمنع قول من قال انها تواضع منه . وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخى [٤] . « وعلم آدم الاسماء كلها تعليم الهام أو تعليم استدلال واجتهاد خلقها الله اذ خلقه مستنبطاً مستدلا فاستدل بالآثار على المراد من المسميات وأنبأها» . وانما خص الله سبحانه وتعالى الاسماء دون الافعال والحروف لما عليه الاسماء من القوة والاولية فى النفس والرتبة فاكتفى بها مما هو تال لها ومحمول فى الحاجة اليه عليها

وقالوا فى نفى المواضعة والتوقيف : لابد لأولها من أن يكون متواضعاً

---

(١) — هو ابو الفتح عثمان بن جنى كان من حذاق اهل الادب واعلمهم بعلم النحو والتصريف اخذ عن ابى على الفارسى ولزمه وصاحبه اربعين سنة الى انمات ابو على وخلفه ابن جنى ببغداد وتوفى ابن جنى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثماية فى خلافة القادر وصنف كتباً كثيرة

(٢) — هو ابو على الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسى كان من اكابر ائمة النحويين وعلت منزلته فى النحو وصنف كتباً كثيرة وتوفى ابو على يوم الاحد لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة سبع وسبعين وثلاثماية فى خلافة الطائع

٣ — هو ابو الحسن على بن عبد الله الشمسى اللغوى كان لغوياً ثقة اخذ عن ابى الفتح بن جنى وتوفى يوم الاربعاء لاربع خلون من المحرم سنة خمس عشرة واربعماية فى خلافة القادر .

(٤) — كتاب البدء التاريخ

بالمشاهدة والايماء والقديم سبحانه لايجوز أن يوصف بأن يواضع أحداً من عباده على شيء اذ قد ثبت أن المواضعة لا بد معها من ايماء واشارة بالجارحة نحو المومى اليه والمشار نحوه والقديم سبحانه لاجارحة له فيصح الايماء والاشارة بها منه فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه تقدست أسماؤه

قال ابن جنى: «ذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد وهذا عندى وجه صالح ومذهب متقبل »

والمتأمل فى الفاظ هـذه اللغة يجد أن كثيراً منها أصوله مضاهية بأجراس حروفها أصوات الافعال التى عبر بها عنها ، فهى فى الاصل تقليد للطبيعة فى أصواتها وحركاتها ومحاكاة للطبيعة الجامدة والطبيعة الحية أى للجماد والحيوان سواء وكل كلمة منها مؤلفة من أصول هى عبارة عن مجموع وحدات صوتية متكررة مماثلة للطبيعة . وهذه الاصول الصوتية التقليدية لم تكن فى الابتداء ثلاثية المقاطع كما يرى الآن فى أكثر الفاظ اللغة بل انها كانت فى مبدأ أمرها مجموعة أصوات بسيطة متجانسة لاشكل لها اكتسبت فيما بعد بالنشوء والترقى شكلا ثلاثى الحروف

فمثلا صوت الشيء المجرور المتحرك بشدة على العموم ر ر ر ر ر ر ر ر

وصوت الشيء المتحرك بلطف س س س س

وصوت الجرم الرنان ن ن ن ن ن ن

وصوت المقاومة والشدة د د د د د د د د

ولما كان لاسبيل الى النطق بالحرف الواحد مجرداً من غيره ساكنا كان أو متحركا لزمه أن يدخل عليه من أوله حرف ليجد سبيلا الى النطق به ، وكانوا يضيفون الى اختيار الحروف وتشبيه أصواتهـا بالاحداث المعـبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهى أول الحدث وتأخير ما يضاهى آخره وتوسط ما يضاهى أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب

فأضافوا جيما على الرا فقالوا : جر وان الجيم حرف شديد وأول الجر مشقة على الجار والمجرور ثم عقبوا ذلك بالراء وكرروها فى نفسها وذلك لأن الشىء اذا جر على الارض اهتز عليها واضطرب فكانت الراء لما فيها من التكرير أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف

وأضافوا الخاء فقالوا : خر والخاء أخف من الجيم فجعلوها لما هو أخف حركة من الاول وهو السائل

وأضافوا كافاً فقالوا : كر والكاف أخت الخاء وأشد منها قليلا وجعلوها لما هو متوسط بينهما

وأضافوا دالا فقالوا در وفيها معنى الجذب وأضافوا فاء فقالوا فر وأضافوا طاء فقالوا طر وأضافوا قافا فقالوا قر وفيها كلها معنى الحركة والجذب والدفع والسير

وكذلك الصوت س س س س س أضافوا اليه حاء فصارت حس وفيها معنى الحركة اللطيفة وكذلك أضافو ميما فقالوا مس وجيما فقالوا جس وخاء فقالوا خس وفيها معنى الحركة الى النقصان وأضافوا دالا فقالوا دس وفيها معنى الحركة بشدة والدال أشد من الحاء وأضافوا طاء فقالوا طس والطاء أشد من الدال فدلت على حدث أشد من الاول وأضافوا عيناً فقالوا عس وفيه معنى الحركة والتنقل وأضافوا قافاً فقالوا قس وكلها فيها معنى الحركة والسير وانما اختلفت أوائلها شدة وخفة باختلاف الاحداث المعبر عنها بها

والصوت ش ش ش وفيه معنى التفرق والحركة فزادوا عليه باء فقالوا شب ثم أضافوا قافاً فقالوا شق والقاف أشد من البـاء وفيه من تفرق الاتصال وأضافوا طاء فقالوا شط وأضافوا عيناً فقالوا شع وأضافوا كافاً فقالوا شك وكلها محفوظ فيها تناسب المعانى مع الالفاظ

والصوت ن ن ن ن أضافوا اليه الراء فقالوا رن والطاء وهى أشد من الراء فقالوا طن والمعانى متصاقبة . وهكذا كانوا يقابلون الالفاظ بما يشا كل أصواتها من الاحداث فيجعلون أصوات الحروف على سمت الاحداث المعـبر بها عنها فيعدلونها ويحتذونها عليها، مثال ذلك خضم وقضم فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب

والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الاصوات على مسموع الاحداث

وكانت الاصول فى أول الامر ثنائية فلما ارتقت اللغة واحتاجوا الى زيادة التمييز تكونت اذ ذاك الاصول الثلاثية لتعتدل الكلمة وتتكون من ثلاثة أصول أو أصوات أو حروف حرف يبتدأ به وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه، لذلك كان الثلاثى هو أكثر الاصول استعمالا وأعدلها تركيبا .

واختيار الحرف الذى يكمل الصوت فى أول الكلمة أو فى آخرها مبنى على تركيب اللسان وسمو طبع العربى وقوة قريحته ، فمثلا الصوت غر وهو صوت يشبه صوت نزول الماء فاستبدلوا القاف باحدى رآآته فصار غرق ودلوا به على معناه المتعارف والقاف شديدة صلبة تشبه الحدث المسامت لها وخر استبدلوا القاف باحدى الرآآت فقالوا خرق واستبدلوا الباء باحدى الرا آت وقالوا خرب وفيها معنى الزوال والفقد فالحروف التى زيدت مشاكلة لاصوات الاحداث

وكذلك خرت وخرج وخرز وخرس وخرش وخرص وخرط وخرع وخرف وخرم وكلها قريبة المعانى عظيمة المشاكلة بين اللفظ والحدث فالتاء أخف من الجيم والزاى كالسين الا أن السين أخف وفيها معنى السكون والخفة والشين فيها عنف وشدة وخرش فيها معنى الشدة، والصاد أقوى من السين فدلت على حركة فى الكلام غير مألوفة والعين شديدة وخرع فيها معنى الشق والشدة والفاء خفيفة وخرف فيها معنى التقلقل والاضطراب . فانظر كيف كان تغييرا لحرف واختياره سبباً فى تغيير المعنى مع بقاء الارتباط دائما بين الصوت والحدث

وكلما نمت اللغة وترعرعت أخذت فى الاتساع لسد الحاجة للمعانى المتزايدة وكفاية الدلالة على الاحداث المتكاثرة فاحدثوا فى اللغة ما سماه علماؤها « تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى » أى تقارب الالفاظ لتقارب المعنى على نسق ما ذكرنا

قال ابن جنى « غور هذا من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به وأكثر كلام العرب عليه » . وهو على أضرب منها استبدال الحروف المتآلفة بعضها مكان بعض ومنها التقديم والتأخير فى الحروف ومنها اقتراب الاصلين الثلاثيين مع بعض الزيادة فى بعضها .

فاستبدال الحروف المتآلفة بعضها مكان بعض مثل

أز و هزفالهمزة اخت الهاء فخصوا هذا المعنى بالهمزة لانها أقوى من الهاء والأز له معنى أعظم فى النفس من الهز

ومنها صعد وسعد فالصاد أقوى فى الجرس من السين فجعلوها لما فيه أثر مشاهد يرى وهو الصعود فى الجبل والحائط ونحو ذلك وجعلوا السين لضعفها لما يظهر ولا يشاهد حساً الا انه مع ذلك فيه صعود الجد

ومن ذلك سد وصد فالسد دون الصد فالسد للباب والثقب ونحوه والصد جانب الجبل والوادى والشعب وهو أقوى من السد ، ومنه القد طولا والقط عرضاً وذلك أن الطاء أخفض للصوت وأسرع قطعاً له من الدال فجعلوا الطاء للمناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته والدال للماطلة لما طال من الأثر وهو قطعه طولا .

ومنه : نضح للماء ونضخ وهو أقوى من النضح فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف والخاء لغلظها لما هو أقوى منه

ومنه : قطر وقدر وقتر فالتاء خافتة متسفلة والطاء سامية متصعدة فاستعملتا لتقاربهما فى الطريق فيقال قطر الشئ وقتره والدال بينهما ليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء فكانت لذلك واسطة بينهما فعبر بها عن معظم الامر ومقابلته

ومنه : قسم وقصم وقضم فالقضم أقوى فعلا من القسم لان القصم يكون معه الدق وأما القسم فقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما فخصت الصاد بالأقوى والسين بالاضعف

ومنه قرت وقرد وقرط فالتاء أخف الثلاثة فاستعملوها فى الدم اذا جف والدال أشد منها والطاء أعلى الثلاثة صوتا للقرط الذى يسمع

ومنه : فرد وفرط وفرت، فالمنفرد الى الضعف والهلاك أقرب وفرط من التقدم وهو الانفراد والفرت من الفرات وهو الماء العذب واذا عذب الشىء ميل عليه ونيل منه

ومنه : العسف والاسف فالعين أخت الهمزة والهمزة أقوى من العين كما انه

أسف النفس أغلظ من العسف فترى تصاقب اللفظين لتقارب المعنيين

ومنه : قرم وقلم فالراء أخت اللام والعملان متقاربان فهذا انتقاص للظفر وذلك انتقاص للجلد

ومنه : جرف وجلف وجنف فالراء واللام والنون أخوات والمعانى متقاربة

ومنه : علم وعرم اللام أخت الراء والمعنيان متقاربان

ومنه : حمس وحبس الميم أخت الباء والمعانى متصاقبة

ومنه : نجع ولجع ورجع فالنون واللام والراء أخوات وفيها تصاقب

ومنه :قرد وقرت التاء أخت الدال وقرد بمعنى تجمع وقرت الدم جمد

ومنه : علز وعلص الزاى أخت الصاد والمعانى متقاربة

ومنه : جبل وجبن وجبر فاللام والنون والراء أخوات والمعنى متقارب فى الالتصاق والتماسك

ومنه : غرب وغرف الباب أخت الفاء والمعنى متصاقب

ومنه : سحل وصهل وزحر فالسين والصاد والزاى أخوات والحاء أخت الهاء واللام أخت الراء وكلها فيها معنى الصوت

ومنه : عصر وأزل العين أخت الهمزة والصاد أخت الزاى والراء أخت اللام والمعنيان متقاربان

وأزم وعصب الهمزة أخت العين والزاى أخت الصاد والميم أخت الباء والأزم المنع والعصب الشد والمعنيان متقاربان

ومنه : سلب وصرف السين أخت الصاد واللام أخت الراء والباء أخت الفاء وسلب الشىء صرفه عن وجهه

ومنه : الغدر والختل العين أخت الخاء والدال أخت التاء والراء أخت اللام والمعنى متقارب

ومنه:زأر وسعل الزاى أخت السين والهمزة أخت العين والراء أخت اللام والمعانى متصاقبة

ومنه : شرب وجلف الشين أخت الجيم والراء اخت اللام والباء أخت الفاء وشارب الماء مفن له كالجالف للشيء

ومنه : الهتر والادل الهاء أخت الهمزة والتاء أخت الدال والراء أخت اللام وكلاهما بمعنى العجب

ومنه : قفز وكبس القاف أخت الكاف والفاء أخت الباء والزاى أخت السين والقافز اذا استقر على الارض كبسها

ومنه : جعد وشحط الجيم أخت الشين والعين أخت الحاء والدال أخت الطاء وذلك أن الشيء اذا تجعد وتقبض شحط وبعد عنه

ومنه : حلس وأرز الحاء أخت الهمزة واللام أخت الراء والسين أخت الزاى والمعانى متصاقبة

وقالوا أفل وغبر الهمزة أخت الغين والفاء أخت الباء واللام أخت الراء وأفل بمعنى غاب والغابر غائب

وهذا الباب واسع جداً وأكثر الكلام عليه

ومن طريف الابدال فى نشوء اللغة ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون اذا ما زجتهن الفاء على التقديم والتأخير فاكثر ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوها وذلك مثل الدلف وهو للشيخ الضعيف، والقلف للشيء التالف والطلف للمجان وليست له عصمة الثمين وانطنف لماأشرف خارجا عن البناء وهو الى الضعف لانه ليست له قوة الراكب على الاساس والاصل والنطف العيب وهو الى الضعف والدنف المريض والترف وهى الى اللين والضعف أميل، والطرف لان طرف الشيء أضعف من قلبه ووسطه

الضرب الثانى : التقديم والتأخير

اما التقديم والتأخير فهو تقليب أصول الكلمات على كل وجه والحروف واحدة مثاله : كمل تقول كلم وملك ولمك ولكم ومكل وحيثما تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة فاستعمل منها مااستعمل وأهمل منها لمك

وكذلك قول تقول فيها قلو و وقل و ولق و لقو ولوق ومعناها كلها مع تقلب

حروفها الخفوق والحركة ، وجهات تركيبها الست مستعملة كلها لم يهمل منها شيء
ومن ذلك : قسو وقوس و وقس ووسق وسوق وسقو كلها الى القوة والاجتماع
وكلها مستعمل الا سقو فانه أهمل .
ومنها : سمل ومسل وسلم وملس ولمس ولسم والمعنى الجامع لها المشتملة عليها
الاصحاب والملاينة وأما لسم فمهمل ، على أنهم قالوا نسم الريح والنون أخت اللام
اذا مرت مراً سهلا ضعيفاً

ومنها : جعل وجلع وعجل ولجع ولعج وكلها متقاربة المعنى ، وهذا ما سماه
النحويون الاشتقاق الاكبر ، وهو أن تأخذ أصلا من الاصول فتعقد عليه وعلى
تقاليبه الستة معنى واحدا تجتمع التراكيب الستة وما ينصرف من كل واحد منها
عليه ، وأن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل اليه

الضرب الثالث : اقتراب الاصليين الثلاثيين والزيادة على بعضها مثل لوقة
وألوقة ورخو ورخود ودمث ودمثر وسبط وسبطر ومعانيها متقاربة

تكرير الاصل للدلالة على تكرير الفعل

انهم قد يكررون الاصل حكاية للصوت للدلالة على تكرير الفعل فنراهم
يقولون خرخر لصوت الماء المنحدر وغرغر لصوت الماء المتحرك فى الفم وجرجر
لصوت الشيء المجرور وقالوا نحنح وقلقل وتعتع وصلصل وقعقع وزعزع وقرقر
وصرصر ، فانهم توهموا فى الحدث تقطيعاً وتكريراً فجعلوا الصوت مكررا

ونراهم يكررون عين الكلمة للدلالة على تكرار الفعل أيضاً مع التعدى والشدة
وذلك لانه لما كانت الالفاظ دليلة المعانى فقوة اللفظ ينبغى أن يقابل به قوة الفعل
وعين الكلمة أقوى من الفاء واللام لأنها واسطة لها مكتوفة بهما فصارا كأنهما
سياج لها ومبذولان للعوارض دونها فقالوا قطّع كسّر فتّح

وكذلك ضاعفوا اللام كما ضاعفوا العين للمبالغة فقالوا نملّ وضملّ وقمدّ
وحرقّ الخ

ونراهم قد كرروا العين واللام للمبالغة أيضاً نحو دمكمك وصمحمح وعركرك

وعصبصب وضربرب وغشمشم الخ. وتكرار حروف الفعل مع الزيادة يأتى دائما فى لغة العرب للمبالغة وتكرير الحدث نحو اخلولق واعشوشب واحمومى واذلولى وكذلك فى الاسم أيضاً نحو عقنقل وهجنجل وعبنبل وغدودن فكل كلمة من هذه قد فصل بين عينيه بالحرف الزائد

وقد مدوا آخر الكلمة وجعلوا الاستطالة والمد للدلالة على السرعة فقالوا بشكى وجمزى و ولقى اعنى أن المثال الذى توالت حركاته للافعال التى توالت الحركات فيها

ونراهم قد زادوا الالف والنون على الكلمة للدلالة على الاضطراب والحركة فقالوا غليان وغثيان وجوعان وعطشان الخ

ومما هو أصنع من ذلك أنهم جعلوا للالتماس والمسألة أحرفا زائدة تقدم على حروف الكلمة الاصلية تكون كالمقدمة لها والمؤدية اليها وهذه الاحرف الزائدة الالف والسين والتاء، وذلك أن الطلب للفعل والتماسه تقدمه السعى فيه والتأتى لوقوعه ثم وقعت الاجابة اليه فتبع الفعل السؤال فيه والسبب لوقوعه، فكما تبعت أفعال الاجابة أفعال الطلب كذلك تبعت حروف الاصل الحروف الزائدة التى وضعت للالتماس والمسألة فقالوا استخرج واستقدم واستوهب واستعطى واستمنح

وانى اكتفى بما ذكرت الآن لبيان أن اللغة العربية هى لغة تواضع واصطلاح لئلا نخرج عما رسمناه وتوخيناه من الاختصار . واذا كانت توجد لغة يسهل تحليها وارجاعها الى أصولها الصوتية التقليدية للطبيعة الجامدة والحيوانية فهى اللغة العربية التى لبثت الى الآن آلاف السنين واحدة لا تتغير

باب القول في معنى اللغة

اللغة على وزن فُعْلَة (١) من لغوت أى تكلمت، وأصلها لغوة ككرة وقلة (٢)

---

(١) استثقلت الحركة على الواو فنقلت للساكن قبلها وهو الغين فبقيت الواو ساكنة فحذفت وعوض عنها هاء التأنيث فصار وزنها بعد الاعلال فعة بحذف اللام

(٢) القلة عود ان يلعب بهما الصبيان والعوام تسميها عقلة

وثبة(١) ، كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وقلوت بالقلة ، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لُغات ولُغون ككرات وكرون ، وقيل منها لَغِيَ يلغَي اذا لهج بالكلام أو هذى قال :

ورب أسراب حجيج كُظَّم عن اللَّغا ورفث التكلم

وفى الفعل ثلاث لغات من باب دعا وسعى ورضى وكل منها فصيح وكذلك اللغو قال تعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » أى بالباطل . وفى الحديث « من قال فى الجمعة صه فقد لغا » أى تكلم .

٣ — باب فى علة تسمية العرب

اللغة العربية هى لغة جيل من الناس يسكن بلاد العرب يسمون العرب ، والعرب هذا الجيل لا واحد له من لفظه ، وسموا عرباً باسم بلدهم العَرَبات ، وعَرَبَة بالتحريك هى فى الاصل اسم لبلاد العرب قال ياقوت « ان كل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها فهم العرب سموا عرباً باسم بلدهم العربات » والعَرَبات جمع عَرَبة ، وقال أبو تراب اسحاق بن الفرج « عربَة باحةُ العرب وباحة دار أبى الفصاحة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام » ، والعربة النهر الشديد الجرية

وقيل ان لفظة العرب مشتقة من الاعراب وهو البيان أخذا من قولهم أعرب الرجل عن حاجته اذا أبان ، وفى الحديث : الثيب تعرب عن نفسها أى تبين ، وعرَّب البيطار الفرس تعريباً اذا بزغه ، وعرَّبت على الرجل اذا رددت عليه قوله ، سُمُّوا بذلك لأن الغالب عليهم البيان والبلاغة ، وقال هشام بن محمد ابن السائب : جزيرة العرب تدعى عربة ومن هنالك قيل للعرب عربى كما قيل للهندى هندىّ وكما قيل للفارسى فارسىّ لأن بلاده فارس وكما قيل للرومى رومىّ لأن بلاده الروم ، وقال آخرون: نشأ أولاد اسماعيل بعربة وهى من تهامة فنسبوا

(١) الثبة الجماعة

الى بلدهم ، وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ونطق بلسان أهلها فهم عَرَب يَمَنُهم ومَعَدّهم ، وبنوا اسرائيل الذين عمروا الحجاز فلم ينسبوا عرباً لأنهم لم ينطقوا فيها بلسان العرب فهم عِبْر

والعرب قسمان : ١ — عاربة وهم الخلص منهم وأخذ من لفظه فأكد به بمعنى الراسخة فى العروبة كقولك ليل لائل أى كثير الظلمة تقول عرب عاربة وعُرَباء صرحاء ، أو بمعنى الفاعلة للعروبة والمبتدعة لها لما كانوا أول من تكلم بهـا ، ٢ — وعرب مُتَعَرِّبة ومستعرِبة وهم الدخلاء على العرب ليسوا بخُلص فلم يكونوا منهم ، ومعنى المستعربة الداخلون فى العربية بعد العجم أخذاً من استفعل بمعنى الصيرورة ، وهم بنو قحطان بن عابر وبنو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، فقد كانت لغة عابر واسماعيل عجمية وهى العبرانية ، فتعلم بنوا قحطان العربية من العاربة ممن كان فى زمنهم ، وتعلم بنوا اسماعيل من جُرْهم من بنى قحطان فهم العرب المستعربة . وذهب ابن اسحاق والطبرى وغيرهما الى أن العاربة هم عاد وعَبيل وثمود وطَسْم وجَديس وأُميم والعمالقة ووبار وعبد ضخم وجرهم الاولى وحضرموت وحَضوراء ومن فى معناهم

وفى العرف يطلق العرب على الجميع ، والعربى نسبة الى العرب وان لم يكن بدوياً ، ويقال عربى كذلك لمن كان نسبه فى العرب ثابتاً وان لم يكن فصيحاً ، وجمع عربى العَرَب ، وهم الذين ينزلون بلاد الريف ويستوطنون المدن والقرى العربية وغيرها ، والأعراب سكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون فى الأمصار ولا يدخلونها الا لحاجة فهم أصحاب نجعة وانتواء وارتياد للكلأ وتتبع لمساقط الغيث وسواء كان من العرب أو من مواليهم ، والنسب الى الأعراب أعرابى لانه لا واحد له على هذا المعنى ، والأعرابى اذا قيل له يا عربى فرح بذلك وهش له ، والعربى اذا قيل له يا أعرابى غضب له ، وكل من عدى العرب فهو عجمى ، والعُرْب ضد العُجم وليس هو كما يتوهم العامة من اختصاص العجم بالفرس

والعرب فرقتان (١) فرقة بائدة وفرقة باقية

فأما الفرقة البائدة فكانت أمماً ضخمة كعاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة واياد وجرهم الاولى وجاسم وعبيل وحضوراء وحضرموت وبنو ثابر ووبار وأميم وعبد ضخم ومدين ، أبادهم الزمان وأفناهم الدهر بعد أن سلف لهم فى الارض مُلك جليل وخبر مشهور ، لا ينكر لهم ذلك أحد من أهل العلم بالقرون الماضية والاجيال ، ولتقادم انقراضهم ذهبت حقائق أخبارهم وانقطعت عنا أسباب العلم بآثارهم ، ولم يبق منهم الا بقايا متفرقة فى القبائل.

فعادٌ وعبيل ابنا عُوص بن ارم بن سام بن نوح

وثمود وجديس ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح

وعمليق أو عملاق وهم العمالقة وطسم ابنا لاوذ بن ارم بن سام بن نوح

ووبار بن أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح

وعبد ضخم بن ارم بن سام بن نوح وقيل عبد ضخم بن عبس بن هرم بن عابر بن ارم بن سام بن نوح

وجُرهُم الأولى هم قبيلة كانوا على عهد عاد وهو جرهم بن قحطان بن عابر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ومَدين وهم بنو مدين بن ابراهيم عليه السلام

وأما الفرقة الباقية وهى المتأخرة بعد ذلك فجرهم الثانية وسبأ وبنوا عدنان ؛ ومنهم من باد بعد ذلك كجرهم ومن تأخر منهم فهم متفرقة من جذمين قحطان وعدنان ، والعرب كلها منهما

فالعرب القحطانية هم عرب اليمن وينتسبون الى يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود النبى بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وهم أقدم من غيرهم ، ولذلك تفتخر أعراب اليمن على غيرها من العرب ، ويقولون نحن العرب العاربة كنا قبل اسماعيل. وانما تكلم اسماعيل بلساننا لما جاورته جرهم . وقحطان أخو يقطن بن عابر ، فولد يقطن جرهم وجزيلا ، فلم يبق من جزيل بقية ،

---

(١) طبقات الامم ببعض زيادات

فنزلت جرهم مكة فتزوج منهم اسماعيل، وقد خرج من قحطان يعرب ويشجُب وسبأ وحمير وقُضاعة .

ومن القبائل القحطانية(١) هَمْدان وكِندة ولَخم والسَّكون والسكاسك ودَوْس وعاملة وجذام وقادم وخَولان ومَعافر ومَذحج ومسيلمة وأشجَع ورَهاء وصُداء وجَنْب وحكم بن سعد وزُبيد ومراد وعَنْس والأشعر وأُدَد والأزد والأوس والخزرج وخُزاعة وبارق وغسان وبَجيلة وخَثعم وبلقَين والنمرة بن وبَرَة وسَليم ومَهْرة ودَهْر وعُذرة وسلامان وضَنَّة بن سعد وجهينة وفهد بن زيد

وأما العدنانية فهم من عدنان بن أُدَّ بن أُدَد بن الهُمَيْسع بن سلامان بن نَبْت ابن حَمَل بن قَيدار بن اسماعيل بن ابراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن أرغو ابن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، ومنازلهم فى شمال بلاد العرب فى تِهامة والحجاز ونجد والسماوة الى مشارف الشام والعراق ، ومن العدنانية عَكّ ومعدّ وربيعة ومضر وقيس

وأعلم (٢) أن اليمن كان منازل العرب العاربة من عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن فى معناهم ، ثم انتقلت ثمود منهم الى الحِجْر من أرض الشام فكانوا به حتى هلكوا كما ورد به القرآن الكريم ، وهلك بقايا العاربة باليمن من عاد وغيرهم ، وخلفهم فيه بنوا قحطان بن عابر فعرفوا بعرب اليمن وبقوا فيه الى أن خرج منه عمرو ومُزَيْقيا عند توقع سيل العرم ، ثم خرج منه بقاياهم وتفرقوا فى الحجاز والعراق والشام وغيرها عند حدوث سيل العرم ، وكانت أرض الحجاز منازل بنى عدنان الى أن غزاهم بُخْتنصَّر ونقل من نقل منهم الى الأنبار من بلاد العراق ، ولم تزل العرب بعد ذلك كله فى التنقل عن جزيرة العرب والانتشار فى الأقطار الى أن كان الفتح الاسلامى توغلوا فى البلاد حتى وصلوا الى بلاد الترك وما داناها ، ونزل منهم طائفة بالجزيرة الفراتية

(١) الفهرست
(٢) نهاية الارب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندى

وصاروا الى أقصى الغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان وملؤوا الآفاق وعمروا الأقطار ، وصار بعض عرب اليمن الى الحجاز فأقاموا به ومن تفرق منهم منتشرون فى الأقطار

٤ — باب فى موطن اللغة العربية

اللغة العربية هى لغة جيل من الناس يسكن بلاد العرب ، وتعرف بجزيرة العرب لأن اللسان العربى فى كلها شائع وان تفاضل ، والجزيرة فى أصل اللغة ما ارتفع عنه الماء أخذاً من الجزر الذى هو ضد المد ، ثم توسع فى معناه فأطلق على كل مادار عليه الماء . وانما (١) سميت جزيرة العرب لاحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها وصاروا منها فى مثل الجزيرة من جزائر البحر ، وذلك أن الفرات القافل من بلاد الروم يظهر بناحية قِنَّسْرين ، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع فى البحر من ناحية البصرة والأُبُلَّة (٢) وامتد الى عبَّادان (٣) وأخذ البحر من ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب منعطفا عليها فأتى منها على سَفَوان (٤) وكاظمة (٥) ونفذ الى القَطيف وهَجَر وأسياف البحرين وقَطَر وعُمان والشحْر ، ومال منه عنق الى حضرموت وناحية أبْيَن (٦) وعدن ودَهْلَك (٧) واستطال ذلك العنق فطعن فى تهائم اليمن فى بلاد فَرَسان (٨) وحكَم (٩) والأشعَريين وعك ، (١٠) ومضى الى جُدة ساحل مكة والى الجار

---

(١) معجم ما استعجم للبكرى وصفة جزيرة العرب للهمدانى (٢) ابلة بلدة بجوار البصرة وهى اقدم منها (٣) عبادان حصن بجوار البصرة منسوب الى عباد الحبطى (٤) سفوان ماء على اربعة اميال من البصرة عند جبل شنام ومكان سفوان من البصرة كمكان القادسية من الكوفة (٥) جو على سيف البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان (٦) أبين وابين (بكسر الهمزة) هى عدن ابين من بلاد اليمن (٧) دهلك اسم اعجمى معرب ويقال دهيك هى جزيرة فى بحر اليمن وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة وهى كذلك اسم بلدة ضيقة حرجة حارة (٨) فرسان ويقال سواحل فرسان هو عنق من البحر مال الى حضرموت وناحية ابين وعدن ودهلك فاستطار ذلك العنق وطعن فى تهائم اليمن فى بلاد فرسان والحكم ابن سعد العشيرة (٩) حكم مخلاف باليمن سمى بالحكم بن سعد العشيرة (١٠) مخلاف من مخاليف مكة التهامية ومقابلة مرساها دهلك

ساحل المدينة والى ساحل تَيْماء (١) وأَيْلَة (٢) حتى بلغ الى قُلْـزم (٣) مصر وخالط بلادها ، وأقبل النيل من غرب هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلا معارضاً للبحر معه حتى دفع فى بحر مصر والشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين ، فمرّ بعسقلان وسواحلها وأتى على صور ساحل الأُرْدُنّ وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق ، ثم نفذ الى سواحل حمْص وسواحل قِنّسْرِين حتى خالط الناحية التى أقبل منها الفرات منحطاً على أطراف قنسرين والجزيرة الى سواد العراق

فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التى نزلوا بها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب وفى أشعارها : تهامة والحجاز ونجد والعَروض واليمن

وذلك أن جبل السَّراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قُعْرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمَّتْهُ العرب حجازاً لأنه حجز بين الغوْر وهو هابط وبين نجْد وهو ظاهر ، فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيّه الى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعكّ وحكم وكنانة وغيرهما ودونها الى ذات عِرْق (٤) والجُحْفة (٥) وما صاقبها وغار من أرضها الغَوْرَ غَوْرَ تهامة وتهامة تجمع ذلك كله ، وصار ما دون ذلك الجبـل من شرقيه من صحارى نجد الى أطراف العراق والسَّماوة (٦) وما يليها نجداً ونجد تجمع ذلك كلّه ، وصار الجبل نفسه سراتَه وهو الحجاز وفى رواية الجَرُّ والجرُّ سفح الجبل ، وصار ما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحدر الى ناحية فَيْد (٧) وجَبَلى طيْء الى المدينة وراجعاً الى أرض مذحج من تثليث (٧) وما دونها الى ناحية فيْد حجازاً ، فالعرب

---

(١) تيماء بليدة فى اطراف الشام بين الشام ووادى القرى على طريق حاج الشام وهى فى شرق خليج ايلة او خليج العقبة الآن (٢) ايلة هى العقبة الان (٣) القـلزم كورة من كور مصر القبلية قرب ايلة والطور ومدين وموضعها اقرب موضع الى البحر الغربى بينها وبين الفرما اربعة ايام (٤) ذات عرق مهل اهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة

(٥) الجحفة كانت قرية كبيرة على ثلاث مراحل من مكة فى طريق المدينة وهى اول الغور الى مكة وكذلك هى من الوجه الاخر الى ذات عرق (٦) بادية السماوة التى هى بين الـكوفة والشام قفرى وسميت السماوة لانها أرض مستوية لا حجر بها (٧) فيد بليـدة فى نصف طريق مكة من الـكوفة (٨) تثليث موضع بالحجاز قرب مكة

تسميه نجداً وجلساً وحجازاً والحجاز يجمع ذلك كله، وصارت بلادا اليمامة والبحرين وماوالاها العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله و وصار ماخلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وما ولاها الى حضرموت والشحر وعمان وما يليهما اليمن وفيها التهائم والنجد واليمن تجمع ذلك كله

، ومسافة الجزيرة فى الطول وذلك بين عدن وبين أطراف الشام نحو من الأربعين مرحلة ، ومسافتها فى العرض وذلك ما بين ساحل بحر أيلة والحجاز وجدة وبين العذيب (١) وما اتصل من ريف العراق نحو من خمس وعشرين مرحلة

٥ ـ باب فى علة سكن البوادى من عرب البدو وغيرهم

ان حال العرب مشهور عند الأمم من العز والمنعة والأنفة ، وكانوا طبقتين(٢) أهل مدر وأهل وبر ، فأما أهل المدر فهم أهل الحضر وسكان القرى ، وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والكرم والماشية والضرب فى الارض للتجارة وغير ذلك من ضروب الاكتساب ، ولم يكن منهم عالم مذكور ولا حكيم مشهور ، وأما أهل الوبر فهم قطان الصحارى وعمار الفلوات ، وكانوا يعيشون من ألبان الابل ولحومها ، وكانوا زمان النجعة ووقت التبدى يراعون جهات ايماض البرق ومنشأ السحاب وجلجلة الرعد ، فيؤمون منتجعين لمنابت الكلأ ، مرتادين لمواقع القطر ، ويخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعى ، ثم يقومون لطلب العشب وابتغاء المياه ، فلا يزالون فى حل ورحال كما قال المثقب العبدى فى ناقته

تقول اذا درأت لها وضينى أهـذا دينـه أبداً ودينى
أكلُّ الدهرِ حلٌّ وارتحال أما تُبقِي على ولا تقينى

---

(١) العذيب ـ واد بظاهر الكوفة
(٢) طبقات الامم

فكان ذلك دأبهم زمان الصيف والقيظ والربيع ، فاذا جاء الشتاء وأقشرت الأرض ومدّت انكمشوا الى أرياف العراق وأطراف الشام ، وركبوا الى القرب من الحواضر والدنو من القرى ، فشتوا هنالك مقاسين جهد الزمان ومصطبرين على جهد العيش ، وهم خلال ذلك يتواخون بقُوتهم ويتشاركون فى بلغتهم ، مدمنون على اباء الضيم ونصرة الجار والذب عن الحرم ، فرأت العرب (١) أن جولان الأرض وتخير بقاعها على الأيام أشبه بالعز وأليق بذى الأنفة ، وقالوا لنكون محكمين فى الأرض نسكن حيث نشاء أصلح من غير ذلك ،فاختاروا سكنى البدو من أجل ذلك ، والقدماء من العرب لما ركبهم الله من سمو الأخطار ونيل الهمم والأقدار وشدة الأنفة والحمية من الـمُعَرَّة والهرب من العار بدأت التفكر فى المنازل والتقدير للمواطن ؛ فتأملوا شأن المدن والأبنية فوجدوا فيها معرّة ونقصاً ، وقال ذو المعرفة والتمييز أن الارض تمرض كما تمرض الأجسام وتلحقها الآفات والواجب تخير المواضع بحسب أحوالها من الصلاح اذ الهواء ربما قوى فأضر بأجسام سكانه وأحال أمزجة قطانه ، وقال ذو الآراء منهم ان الابنية والتحويط حصرٌ عن التصرف فى الأرض ومقطعة عن الجولان وتقييد للهمم وحبس لما فى الغرائز من المسابقة الى الشرف ولا خير فى اللبث على هذه الحالة ، وزعموا أيضاً أن الأبنية والأطلال تحصر الغذاء وتمنع اتساع الهواء وتسدُّ سروحه عن المرور وقذاه عن السلوك ، فسكنوا البرّ الأفيَحَ الذى لا يخافون فيه من حصر ومنازلة ضرّ ، هذا مع ارتفاع الأقذاء وسماحة الأهواء واعتزال الوباء ،ومع تهذيب الأحلام فى هذه المواطن ونقاء القرائح فى التنقل فى المساكن مع صحة الأمزجة وقوة الفطنة وصفاء الألوان وصيانة الأجسام فان العقول والآراء تتولد من حيث تولد الهواء وطبع الهواء الفضاء ، وفى هذا الأمن من العاهات والأسقام والعلل والآلام ، فآثرت العرب سكنى البوادى والحلول فى البيداء ، فهم أقوى الناس هماً وأشدهم أحلاماً وأصحهم أجساماً وأعزهم جاراً وأحماهم ذماراً وأفضلهم جواراً وأجودهم

---

(١) المسعودى مروج الذهب

فطناً لما أكسبهم اياه صفاء الجو ونقاء الفضاء ، لأن الأبدان تحتوى أجزاؤها على متكاثف الأكدار وعناء الأقذار بما يرتفع اليه ويتلاطم فى عرصاته واقفة من جميع المستحيلات والمستنقعات من المياه ، ففى أكنانه جميع ما يتصعد اليه وكذلك تراكيب الأقذاء والأدواء والعاهات فى أهل المدن ، وتركبت فى أجسامهم وتضاعفت فى أشعارهم وأنثارهم ففضلت العرب على سائر ما عداها من بوادى الامم المعترضة لما ذكرنا من تخيرها الأماكن وارتياد المواطن

٦— باب فى النسب فى العرب

قال أحمد بن محمد بن عبدربه (المتوفى سنة ٣٢٨ هـ) « النسب سبب التعارف وسلم الى التواصل ، به تتعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة » والعرب هم أوثق الأمم فى معرفة أنسابهم وأشدهم محافظة على كيان بيوتاتهم ، وبهذا التمسك بحفظ النسب يتفاضلون بعضهم على بعض ويتفاخرون بقبائلهم وبيوتاتهم ، فللعرب حفظ الأنساب وما يعلم أحد من الأمم عنى بحفظ النسب عناية العرب ، ولهم فى ذلك نوادر عجيبة تدل على ما كان لهم من الهمة والولع بحفظ الأنساب نذكر منها الحكاية الآتية :

ذكروا أن يزيد بن حسان بن علقمة بن زرارة بن عدس قال : خرجت حاجاً حتى اذا كنت بالمُحصَّب من منى اذا رجل على راحلة معه عشرة من الشباب مع كل رجل منهم محجن ينحون الناس عنه ويوسعون له ، فلما رأيته دنوت منه فقلت ممّن الرجل قال رجلٌ من مهرة من الشِّحْر قال فكرهته ووليت عنه ، فنادانى من ورائى مالك قلت لست من قومى ولست تعرفنى ولا أعرفك ، قال ان كنت من كرام العرب فسأعرفك قال فكررت عليه راحلتى فقلت انى من كرام العرب قال ممن أنت قلت من مُضَر قال فمن الفرسان أنت أم من الأرجاء فعلمت أنه أراد بالفرسان قَيساً وبالأرجاء خِنْدِفاً ، فقلت بل من الأرجاء قال أنت امرؤ من خِنْدِف قلت نعم قال من الأرومة أنت أم من الجماجم ، فعلمت أنه أراد بالأرومة خُزَيْمة

وبالجماجم بنى أدّ بن طابخة قلت بل من الجماجم ، قال فأنت امرؤ من بنى أدّ بن طابخة قلت أجل ، قال فمن الدوانى أنت أم من الصميم ، قال فعلمت أنه أراد بالدوانى الرّباب ومُزَينة وبالصميم بنى تميم قلت من الصميم ، قال فأنت اذاً من بنى تميم قلت أجل ، قال فمن الأكثرين أنت أم من الأقلين أو من أخوانهم الآخرين ، فقلت انه أراد بالأكثرين ولد زيد وبالأقلين ولد الحرث وباخوانهم الآخرين بنى عمر بن تميم ، قلت من الأكثرين، قال فأنت اذاً من ولد زيد قلت أجل ، قال فمن البحور أنت أم من الذّرا أم من الثّماد ، فعلمت أنه أراد بالبحور بنى سعد وبالذرا بنى مالك بن حنظلة وبالثماد امرأ القيس ابن زيد ، قلت بل من الذرا قال فأنت رجل من مالك بن حنظلة قلت أجل ، قال فمن السحاب أنت أم من الشهاب أم من اللباب ، فعلمت أنه أراد بالسحاب طَهْية وبالشهاب نَهْشَلا وباللباب بنى عبد الدار بن دارم ، فقلت له من اللباب ، قال فأنت من بنى عبد الدار بن دارم ، قلت أجل ، قال فمن البيوت أنت أم من الدوائر ، فعلمت أنه أراد بالبيوت ولد زرارة وبالدوائر الأحلاف ،قلت من البيوت قال فأنت يزيد بن شيبان بن علقمة بن زرارة بن عدس وقد كان لأبيك امرأتان فايهما أمك .

وقدنبغ فى العرب كثير من علماء النسب فمن مشاهيرهم : دَغْفَل بن حنظلة السدوسى أدرك النبى ، وزيد بن الكيس النمَرى من بنى عوف بن سعد ، والحارث بن أوس بن الحارث بن سعد بن هذيم العدوانى من قضاعة ، والنسّابة البكرى،ولسان الحُمَّرة وهوورقاء بن الأشعر أبو كلاب كان أنسب العرب وأعظمهم بصراً ، وعَبيد بن شَرْية الجرهمى أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وصُحار بن عباس العبدى ، وعمير بن ضَمضم ، وصالح الحنفى واسمه عبد الرحمن بن قيس ، وعبد الله بن عمرو بن الكوّاء ، وصالح بن عمران الصُغدى ، وأبو الوليد عيسى ابن دأب بن يزيد بن بكر ، وعَوانة بن الحكم بن عياض بن وزير بن عبد الحارث

الـكلبى،وشُبَيل بن عروة الضبعى ويكنى أباعمرو ، وكان أبو بكر رضى الله عنه نسابة وسعيد بن المُسَيَّب وأبو القاسم حماد الراوية بن سابور بن المبارك بن عبيد (المتوفى سنة ١٥٦) وأبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار (المتوفى سنة ١٥١) ، ولوط بن يحيى بن سعيد بن مِخْنَف بن سُلَيم الأزدى ، وجده سليم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبو اليقظان سُحَيم بن حفص ، (المتوفى سنة ١٩٠) ،وخالد بن طُلَيق وهو ابن محمد بن عمران بن حُصَين الخُزاعى ، والشرقى القَطامى مؤدب المهدى ولد أبى جعفر المنصور ، وأبو النضر محمد بن السائب الكلبى (توفى بالكوفة سنة ١٤٠) ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبى (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) ومُجالد بن سعيد بن عمير الهمْدانى ويكنى أبا عمير (لمتوفى سنة ١٤٤) فى خلافة أبى جعفر ، وعمير جد مجالد هو الذى يقال له ذو مُرَّان الهمدانى كتب اليه النبىُّ صلى الله عليه وسلم فأسلم ، وأبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى (عاش من سنة ١٣٠ الى سنة ٢٠٧هـ) له كتاب النسب الكبير فى أخبار العرب القدماء ومحمد ابن سعد كاتب الواقدى (المتوفى سنة ٢٣٠) وأبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الثُعلى (المتوفى سنة ٢٠٩) ،ووهب بن وَهْب بن كُثَيِّر بن عبد الله بن رَمَعَة بن الاسود بن أسد بن عبد العُزَّى ، ومحمد بن عُبَيْد الله العُتبى (المتوفى سنة ٢٢٨) ، وأبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى (عاش من سنة ١٣٥ الى ٢١٥) وله كتاب المغازى ،وأحمد بن الحارث الخزاز (المتوفى سنة ٢٥٨) صاحب المدائنى ، وأبو خالد الغنَوى ، وابن عَبْدَة عبد الرحمن ، وعلاَّن الشعوبى له كتاب حَلْبَة المثالب ، وأبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو ، وأبو عبد الله محمد بن صالح ابن النطَّاح ، والحسن بن سعيد السكَّرى ، وأبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيرى (المتوفى سنة ٢٣٣) ، والزُّبير بن بكَّار (المتوفى سنة ٢٥٦) له كتاب أنساب قريش ،وأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد الجَهْمى ، وعمر بن شبَّة ، وأبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (المتوفى سنة ٢٧٩) له أنساب

الأشراف أو الأخبار والأنساب ومحمد بن سلام الجُمَحى له كتاب بيوتات العرب ، وأبو الحسن النسابة محمد بن القاسم التميمى له كتاب الأنساب والأخبار ، وأبو الفرج الأصفهانى (المتوفى سنة ٣٦٠) وهو على بن الحسين من الهيثم القرشى ، وأبو عُبَيدة مَعْمَر بن المثنَّى (المتوفى سنة ٢٠٩) والبيهقى (المتوفى سنة ٤٥٨) ، وابن عبد البر ، وابن هُزَيم محمد ابن احمد (المتوفى سنة ٣٣٤) والهمدانى وله كتاب التاج ، والقلقشندى له نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب

١ — فصل فى طبقات الأنساب

طبقات الأنساب فى العرب كثيرة عد منها أبو عبيدة عشر طبقات فقال : ان جميع ما بنت عليه العرب أركانها ووضعت عليه أساسها فى النسب عشر طبقات

أولهن جذم النسب اما الى عدنان واما الى قحطان ، فهما جميعاً تنسب العرب اليهما ، والجذم القطع ، وذلك لما كثر الاختلاف فى الآباء وأسمائهم فما فوق ذلك على العرب قطع ذكرهم ، واقتصروا على ما دونها لاجتماعهم على صحته ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لما انتسب الى عدنان « كذب النسابون فيما فوق ذلك » لتطاول العهد

الطبقة الثانية : الجمهور والتجمهر الاجتماع والكثرة ومنه قولهم جماهير العرب أى جماعتهم ، ومنه ترجمة مجموع اللغة العربية الجمهرة وجمهرة الأنساب أى مجموعها

الطبقة الثالثة : الشعوب واحدها شعب هو الذى يجمع القبائل ويشملها وهو الذى يشبه بالرأس من الجسد ، قال الله عز وجل « إِنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا »

الطبقة الرابعة : القبيلة وهى التى دون الشعب ، وهى التى تجمع العمائر ، وانما سميت قبيلة لتقابل بعضها بعضاً واستوائها فى العدد ، وهى بمنزلة الصدر فى الجسد ، قال الحسين بن طباطبا هى بمنزلة الوجه من الجسد لان

الحاجب يقابل الحاجب والعين تقابل العين والخد يقابل الخد والانف يقابل الانف والعارض يقابل العارض والشفة تقابل الشفة والأسنان تقابل الأسنان

الطبقة الخامسة : العمائر واحدها عمارة وهي التي تجمع البطون . وهي دون القبائل بمنزلة اليد من الصدر، قال ابن طباطبا وهي بمنزلة الصدر، منه تنبعث اليدان وتتعلق به البطن

الطبقة السادسة : البطون واحدها بطن وهي التي تجمع الأفخاذ

الطبقة السابعة : الأفخاذ واحدها فَخْذ وفَخِذ مثل كبد وكَبِد وهو أصغر من البطن يجمع العشائر

والطبقة الثامنة: العشائر واحدها عشيرة، وعشيرة القوم الذين يتعاقلون الى أربعة آباء، وسميت بذلك لمباشرة الرجل اياهم، قال الله تعالى «وانذر عشيرتك الأقربين» فدعا الى قريش الى أن اقتصر على عبد مناف، فمن هاهنا جرت السنة بالمعاقلة الى أربعة آباء، وهم بمنزلة الساقين من الجسد التي يعتمد عليها دون الأفخاذ

والطبقة التاسعة : الفصائل واحدها فصيله وهم أهل بيت الرجل وخاصته قال الله عز وجل «يودُّ المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤوية ومن فى الأرض جميعاً الآية» وهي بمنزلة القدم وهي مفصل يشتمل على عدة مفاصل .

والطبقة العاشرة الرهط وهم رهط الرجل وأسرته، وهم بمنزلة أصابع القدم، والرهط دون العشرة، والأسرة أكثر من ذلك، قال الله عز وجل «وكان فى المدينة تسعةُ رهط يُفْسِدون فى الارض ولا يصلحون»، وقال أبو طالب بن عبد المطلب فى قصيدته اللامية

وأحضرت عند البيت رهطى وأسرتى
وأمسكت من أثوابه بالوصائل

ويروى وأخوتى، ورهطه بنوا عبد المطلب، وكانوا دون العشرة وأسرته

بنوا عبد مناف الذين عاضدوه على نصرة النبى صلى الله عليه وسلم

تمثيل ذلك : عدنانُ جذمٌ وقبائلُ سعد جُمْهُورٌ ، ونزار شعب ، ومضرُ قبيلة ، وخندف عِمارةٌ وهم ولد الياس بن مضر وكنانة بطن وقريشٌ فخذٌ ، وقُصَىّ عشيرة ، وعبد مناف فصيلةٌ ، وبنوا هاشم رَهْط ،

وتمثيل آخر : فهر بن مالك شعب ، قُصَى قبيلةٌ ، هاشمٌ عمارةٌ ،على عليه السلام بطنٌ ، الحسنُ عليه السلام فخذٌ ، محمد بن عبد الله بن الحسن عشيرةٌ ، عبدالله الأشتر بن محمد فصيلةٌ ، وما دون ذلك يقال رهط بنى الأشتر

ولا بد للنظر فى الأنساب من معرفة الأمور الآتية كما ذكرها القلقشندى

الاول : اذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبا ، والعمائر قبائل ، وتصير البطون عمائر ، والأفخاذ بطونا ، والفصائل أفخاذاً

الثانى — أن القبيلة هم بنوا أب واحد ، وجميع قبائل العرب راجعة الى أب واحد سوى ثلاث قبائل : وهى تنوُّخ والعُتُقُ وغسَّان ، فان كل قبيلة منهم مجتمعة من عدة بطون ، وذلك أن تنوخا اسم لعشر قبائل وسموا بتنوخ من التنخ وهو المقام ، والعتق اجتمعوا على النبى صلى الله عليه وسلم فظفر بهم فأعتقهم فسموا بذلك ، وغسان عدة بطون من الأزد نزلوا على ماء يسمى غسان فسُمُّوا به

الثالث — تخصيص الرجل من رجال العرب بانتساب القبيلة اليه دون غيره من قومه لرئاسة أو شجاعة أو كثرة ولد أو غيره ، فتنسب بنوه وأعقابه اليه ، وربما انضم الى النسبة اليه غير أعقابه من عشيرته أيضاً

الرابع — قد ينضم الرجل الى غير قبيلته بالحلف والموالاة فينسب اليهم فيقال فلان حليف بنى فلان أو مولاهم

الخامس — اذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل فى قبيلة أخرى جاز أن ينسب الى قبيلته الأولى وأن ينسب الى قبيلته الثانية التى دخل فيها وأن ينسب اليها جميعاً مثل أن يقال فلان التميمى ثم الوائلى

السادس — القبائل فى الغالب تسمى باسم أبى القبيلة كربيعة ومضر والأوس والخزرج ، وقد تسمى القبيلة باسم الأم كخندف وبجيلة

السابع — أسماء القبائل فى اصطلاح العرب على خمسة أضرب

أولاً — أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد وثمود ومدين يريد بنى عاد وبنى ثمود وبنى مدين ، وأكثر ما يكون ذلك فى الشعوب والقبائل

ثانياً — أن يطلق على القبيلة لفظ البنوة فيقال بنو فلان وأكثر ما يكون ذلك فى البطون والأفخاذ

ثالثاً — أن يرد لفظ القبيلة بلفظ الجمع مع ال التعريف كالطالبين والجعافرة وأكثر ما يكون ذلك فى المتأخرين

رابعاً — أن يعبر عنها بآل فلان كآل ربيعة وآل فضل وذلك فى الأزمنة المتأخرة والآل بمعنى الأهل

خامساً — أن يعبر عنها بأولاد فلان وذلك فى المتأخرين أيضاً من أفخاذ العرب كأولاد قريش وأولاد على

الثامن — أسماء غالب العرب منقولة عما يدور فى خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه اما من الحيوان كأسد ونمر ، واما من النبات كنبت وحنظلة وسلمة ، واما من الحشرات كحية وحنش ، واما من أجزاء الارض كصخر وفهر الخ

التاسع — الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة ومُرَّة وضرار ، وتسمية عبيدهم بمحبوب الاسماء كفلاح ونجاح ، ولما سئلوا فى ذلك قالوا انما نسمى أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا

العاشر — اذا كان فى القبيلة اسمان متوافقان كالحارث والحارث وأحدهما من ولد الآخر أو بعده فى الوجود عبروا عن الوالد أو السابق منهما بالأكبر وعن الولد أو المتأخر منهما بالأصغر فيقال الحارث الأكبر والحارث الأصغر

٢ ـ فصل في تسلسل النسب

قلنا ان العرب فرقتان فرقة بائدة وفرقة باقية

فاما الفرقة البائدة فقد تقدم ذكرها ، وأما الفرقة الباقية فهى متفرقة من من جذمين قطحان وعدنان ، والعرب كلها منهما

٣ ـ فصل فى العرب القحطانية

فاما القحطانية وأكثر قبائل العرب منهم فهم أنسب وأقدم من غيرهم ، وهم أهل اليمن من ولد قحطان ولذلك تفتخر أهل اليمن على غيرها ، من العرب وقحطان هو أبو يَعْرُب ، ويقال ان العرب انما سميت عربا به وولد يعرب يشْجُب وولد يشْجُب سبأ ، واسم سبأ عبد شمس بن يشجب وانما سمى سبأ لأنه أول من سبأى العرب ، ومنه تفرعت جميع قبائلهم من ولديه حمير وكهلان وولد سبأ سبعة نفر الاشعر بن سبأ ومنه رهط أبي موسى الأشعرى وحمير بن سبأ وأنمار ابن سبأ وعاملة بن سبأ ومُرَّة بن سبأ وعمرو بن سبأ وكهلان بن سبأ ، فولد مُرَّة بن سبأ شعبان بن مُرّة ، وولد الأشعر بن سبأ الأشعريين ، وولد عمرو بن سبأ عدىّ بن عمرو ، فولد عـدى لخمـاً وجُذاماً وجذام قبائلها وبطونها منهم جَدِيس وغَنْم وجُشَم وغَطَفان ونَفَاثه ومَداله والدار التى ينسب اليها الداريون ، وولد أنمار بن سبأ ولداً فخالفوا خثعما وبجيـلة ؛ وبجيلة امرأة تنسب القبيلة اليها وهى بنت صعب بن سعد العشيرة ، ومن بطون بَجيلة قسْر رهط خالد بن عبد الله القسرى ، وولد عاملة بن سبأ قبائل ويزعم لساب مصر أنهم من ولد قاسط قال الشاعر :

أعامل حتى متى يذهبن الى غيروالدك الأكرم

ووالدكم قاسط فارجعوا الى النسب الأبلد الأقدم

وولد حمير بن سبأ ست نفر مالك بن حمير وعامر بن حمير وعوف بن حمير وسعد بن حمير ووائلة بن حمير وعمرو بن حمير ، فولد مالك بن حمير قضاعة بن مالك ، فهو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير

ومن قبائل قضاعة وبطونها كلب بن وَبَرة بن ثعلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف (١) ابن قُضاعة ، ووبرة وُلد له كلب وأسدٌ ونمرٌ وذئبٌ وثعلبٌ وفهدٌ وضبعٌ ودُبٌّ وسِيدٌ وسِرحان ، ومن قبائل قضاعة أيضاً مَصاد ، وبنو القَين بن جُشَم بن سَلَع بن أسد بن وبرة ، وتَنُوخ ، وجَرْم وهو عمرو بن عِلاف بن زَبَّان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وراسب ، وبَهْراء ، وبَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ومهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وعُذْرة وهم بنو عذرة بن سعيد بن هُذَيم بن زيد بن ليث بن سَوْدة بن أسلم بن الحاف بن قضاعة واليهم ينسب العشق والتتيم (ومن أحسن ما يحكي أنه قيل لرجل منهم : ما بال العشق يقتلكم يابنى عذرة ؟ : قال لان فينا جمالا وعفة) ، ونَهْد بن زيد ، بن سَوْدة بن أسلم بن الحاف بن قضاعة ، وسعد هُذَيم وهذيم عبد حبشى نسب اليه والشائعة منه ذو الكَلاع وذو نُواس وذو أصبح وذو جَدَن وذو يزن وبطون كثيرة ، وولد كهلان بن سبأ زيد بن كهلان ، فولد زيد بن كهلان مالك بن زيد وأُدَد بن زيد ، فولد أدد طيء بن أدد والغَوْث بن أدد ، ومن طيء بنو نَبهان واسمه حودان بن عمرو بن الغوث بن طيء ومن طيء بنو ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيء الذى يذكره امرؤ القيس

رُبَّ رَامٍ من بنى ثُعَلٍ   مُخْرِجٍ كفَّيْه من سُتَرِهْ

ومن طيء بنو سِنْبِس وهم بنو سنبس بن معاوية بن جَرْوَل بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طيء ، ومنها بَوْلان واسمه غُصَين بن عمرو بن الغوث بن طيء ومنها هُناءة وهم بنو هُناءة بن عمرو بن الغوث بن طيء .

---

(١) الحاف من الحق هو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة كقولهم الناس والبيان وكقوله تعالى « دعوة الداع »

ومنها سَدوس بن أصْمع مَن بنى سعد بن نَبْهان بن عمرو بن الغوث بن طىء

ومنها سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طىء

ومنها بُحتُر بن عَتُود بن عُنَيز بن سلامان بن ثُعَل بن عمرو بن الغوث بن طىء

ومنها زُبَيد وهم بنو زبيد بن مَعْن بن عمرو بن عُنَيْز بن سلامان بن ثعل ابن عمرو بن الغوث بن طىء

وولد مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ يُحَابر بن مالك وقَرَّ بن مالك و مرْبعَ ابن مالك ، فولد يُحَابر مَذْحِجاً ، وهم بنو مذحج بن يُحَابر بن مالك بن زيد ابن كهلان

ومن بطون مذحج جَنْب والنَخَع وهم بنو النخع واسمه جَسْر بن عمرو ابن عِلّة بن جَلْد بن مذحج

وولد مَذْحج مُرَاداً وَجلْدًا وعَنَساً وسعد العشيرة وسمى كذلك لأنه شهد الموسم ومعه بنون عشرة فقيل له من هؤلاء فقال هم العشيرة ، وقيل سمى سعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمئة رجل فكان اذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى دفعاً للعين عنهم

وولد سعد العشيرة جُعْفِيّ بن سعد وحبيب بن سعد وصعب بن سعد وعائذ الله بن سعد والحَكَم بن سعد

ومن قبائل كهلان بن سبأ كِنْدَه بن عُفَيْر بن عَدى بن الحارث بن مُرَّة بن أدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان

ومن بطون كِنْدَه السَّكُونَ والسَّكَاسك ابنا أشْرَس بن ثَوْر بن كِنْدة

ومن قبائل كهلان هَمْدَان وهم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوْسَلَة بن ربيعة بن الخيار بن زيد بن كهلان

ومنها أيضاً خَوْلان وهو خَوْلان واسمُه فَكْلُ بن عَمْرو بن يَعْفُر المعافر ابن مالك بن الحارث بن مُرَّةَ بن أُدَد بن زيد بن يشجُب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ

ومن كهلان بن سبأ الأزْد بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان ، ومنهم مازن بن الأزد ومَيْدَعان بن الأزد والهِنْو بن الأزد

ومن قبائل الأزد الأنصارُ وهم الأوْس والخَزْرَج وهما الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثَعْلبة بن عمرو وهو المُزَيْقِياء قال سُوَيْد بن صامت

أنا ابن مُزيقيا عمرو وجدّى أبوه عامرٌ ماء السماء

وعمرو بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الأزد بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأمهم قِيلة فيقال للأنصار أبناء قيلة

فولد الخزرج بن حارثة خمسة نفر جُشَم بن الخزرج وعوف بن الخزرج والحارث بن الخزرج وكعب بن الخزرج وعمرو بن الخزرج وكان يقال لهم القواقل ، ومن ولد عمرو بن الخزرج النَجّار وسمى النجار لأنه ضرب رجلا فنجره أى قطعه ويقال لهم بنو النجار واسمه تَيْمُ اللات بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج ، ومن بطون الخزرج : غَنْم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، ومنهم بنو مَبْذُول واسمه عامر بن مالك بن النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، ومنهم جَدِيلة وهو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، ومنهم مِلْحان بن عدى ابن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، ومنهم بنو خِدْرَة وبنو خُدَارَة بطنان من عوف بن الحارث بن الخزرج ، ومنهم بنو القَوْقَل وهم القواقل (١) واسمه غَنْم بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، ومنهم بنو زريق بن عامر بن زُرَيق ابن حارثة بن مالك بن عضب بن جُشَم بن الخزرج ، ومنهم بنوا سلَمة بن سعد ابن على بن أسد بن شاردة بن جشم بن الخزرج ، ومنهم مازن بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن خزرج

---

(١) وذلك ان الرجل كان اذا استجار بيثرب قيل له قوقل حيث شئت فقد امنت

بطون الأوس : أما الأوس فهو أوس بن حارثة ، وولد أوس بن حارثة مالك بن أوس ، فمن مالك تفرقت قبائل الأوس كلها وبطونها فولد مالك عوفاً وهم أهل قُبَاء ، وولد عوفٌ عمراً هو النَبيت ، ومُرَّة وهم الجعادرة يقال لهم أوس الله ، ومنهم ضُبَيعة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ومنهم عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، وهو قيس بن عصمة بن مالك بن أمَة بن ضبيعة ، ومنهم جَحْجَبَى بن كُلْفة رهط أُحَيحة بن الجُلاح بن الحَريش بن جحجبى سيد الأوس فى الجاهلية وزوج سَلْمى بنت عمرو النجارية ، ومنهم بنو عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج ، وبنو الحُبْلى رهط عبد الله بن أبى سَلول ، ومنهم حبيب ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ومن الأنصار بنو جَفْنة بن عمرو وآل مُحَرِّق سمى محرقاً لانه كان يعاقب بالنار ، وهو الحارث بن عمرو ، وآل القَعْقاع وهم ملوك غسَّان بالشام

وولد واثلة بن حمير ، الشكاشك بن واثلة والعدد من حمير فى واثلة ، انتهى نسب القحطانية ،

فأما وصلة النسب بين القحطانية والعدنانية فهو جرهم الثانية وهو من القبائل القديمة وهو جرهم بن يقطن بن عابر وعند عابر يجتمع النسب بين اليمنية والمضرية لان مضر كلها بنو فالغ بن عابر واليمن كلها بنو قحطان بن عابر

٤ ــ فصل فى العرب العدنانية

وأما عدنان فأبو سائر العرب وهم يرجعون الى ابنى نزار مضر وربيعة ، والنسبة بعد عدنان مشكوك فيها وغير مستقيمة ، فقد روى ابن عباس رضه أن النبى صلى الله عليه وسلم انتسب فلما بلغ الى عدنان وقف وقال كذب النسابون ، وروى عن عائشة رضه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «استقامت نسبة الناس الى عدنان» ، فولد عدنان(١) عكّ بن عدنان ومعدّ بن عدنان ، فاما عكّ فأول من

(١) من كتاب البدء والتاريخ المنسوب لابى زيد بن سهل البلخى بتصرف كبير

تبدّى فى البادية والعدد فى معدّ فولد معد بن عدنان ثمانيــة نفر ، منهم قُضاعة ابن معدّ وإياد بن معد ونزار بن معد والعدد فى نزار ، فولد نزار أربع بنين مُضَر ورَبيعة وأَنْمار وإياد

فاما مُضر فولد إلياس والنَّاس ، فولد الناسُ الذى هو عيلانُ بن مضر قيس بن عيلان بن مضر ، وولد الياس بن مضر عمراً وهو مُدْركة وعامراً وهو طابخة وعُمَيراً وهو القَمَعة ، ويقال لولد الياس خِنْدِف ينسبون الى أمهم خندف ، وهى ليلى بنت حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، فمضر ترجع كلها الى هذين الحيين خندف وقيس

فمن قيس بن عيــلان بن مضر بن نزار بن معــد فَهْــمٌ و عَدوان وأعصُر ومن أعصر غَنِيٌّ بن أعصر وسعد بن أعصر ومُنَبِّه بن أعصر ، ومن منبه ثقيف بن منبــه رهط الحجاج بن يوسف واسمــه قَسِيّ ، ومن قيس غَطَفانُ بن قيس بن عيلان وعبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان وهى احدى جمرات العرب ومنهم عنترة الفوارس (العبسى) والحُطَيئة وعُرْوة بن الورد الشاعران

ومن بطون خنــدف بنو مدركة بن اليــاس بن مضر وهم : هُذَيل بن مدركة وكنانة بن خزيمة بن مــدركة

ومن هــذيل لِحيان بن هذيل وخُــزاعة بن سعــد بن هذيل وكاهل ابن الحارث بن ســعد بن هذيل وحُرَيث بن ســعد بن هذيل وصــاهلة بن كاهل بن الحارث بن سعد بن هذيل وصُبْح وكعب

ومن بطون طابخــة وهو عامر بن اليــاس بن مضر ضَبّة بن أد بن طابخة ومُـزَينة وهو بنو عمرو بن أد بن طابخة نسبوا الى أمهم مزينة ابنة كلب بن وبرة والرِّباب بنوا أد بن طابخة وهم عَـدى وتيم وثور وعُـكْل وصُوفه وهو الرَّبيط بن الغوث بن أد بن طابخة

وولد الهون بن خزيمة بن مدركة « القارَة » وهم أرمى حيّ فى العرب الذى يقال فى المثل «قد أنصف القارة من راماها» .

وولد كنانة بن خزيمة بن مدركة النَّضْر بن كنانة ومالك بن كنانة وملكان بن كنانة وعبد مناة بن كنانة

فاما النَّضْر بن كنانة فهو أبو قريش كلها

نرجع الى ربيعة بن نزار بن معد — فانه ولد أسد بن ربيعة وأكلبَ بن ربيعة وضُبَيعة بن ربيعة ، فهؤلاء قبائل وبطون كثيرة فمنهم جديلة ودُعْمِيٌّ وشَنٌّ ولُكَيز ونُكْرة ، ومنهم الفَدَق وهِنْب بن أفْصَى والأراقم وفَدَ وكَس رهط الاخطل الشاعر وبكْر بن وائل وعجْل وحنيفة وسَدُوس ونزار بن ضُبَيْعة ابن ربيعة بن نزار ، ومنهم المتلمس جرير بن عبد المسيح الشاعر والمسيَّب بن عَلَس الشاعر والمرقَّش الأكبر والمرقش الأصغر عم طرَفة بن العبد وعنزَة بن أسد بن ربيعة بن نزار و بنو جَذِيمة بن عوف بن بكر بن أنمار بن وديعة بن لكيز وعبد القيس وهم بنو عبد القيس بن أفْصَى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد ابن ربيعة

ومن جَديلة وائل وهم بنو وائل بن قاسط بن هِنْب بن دُعْمِيّ بن جديلة ومن وائل بكْر وتغلِب ومن بكر شَيْبان

نرجع الى النَّضْر — فولد النَّضْر بن كنانة مالك بن النضر والصلت بن النضر ، فصارت الصلت الى اليمن ورجعت قريش كلها الى مالك بن النضر

فولد مالك بن النضر فِهْر بن مالك بن النضر وولد فهر الحارث بن فهر بن مالك ، فمن بنى الحارث المُطيَّبون واُلخلَج

وأما فِهْر فمنه تفرقت قبائل قريش فولد فهر غالب بن فهر ومحارب ابن فهر

وولد غالب بن فهر لؤى بن غالب وتَيْم بن غالب فاما تيم فمنهم

بنو الأدرم بن لؤى بن غالب من أعراب قريش ، وأما لؤى بن غالب فاليه ينتهى عدد قريش وشرفها

وولد لؤى كعب بن لؤى و سعد بن لؤى وخُزَيمة بن لؤى وبنى عامر بن لؤى

فولد كعب مُرَّة بن كعب بن لؤى و عدِىّ بن كعب فمن عدِىّ ابن كعب بن لؤى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

ومن مُرَّة أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وولد مُرَّة بن كعب كلاب بن مُرَّة ، وولد كلاب قُصَىّ بن كلاب بن مُرَّة وزُهرة بن كلاب ،

فأما قصى فاسمه زَيْد وانما سُمى قُصيّا لأنه تقصَّى مع أبيه وتسميه قريش مُجْمعاً لأنه جمع قبائل قريش وأنزلها مكة وبنى بها دار الندوة وأخذ مفتاح البيت من خُزَاعة ، وكان قريش قبل ذلك حُلولا ، فمن ذلك قريش الأباطح كانوا ينزلون الأبطح ، وقريش الظواهر كانوا ينزلون بظاهر مكة فجمعهم قُصَى

وفيه يقول الشاعر

أبوكم قصى كان يدعى مجمعاً ... به جمع الله القبائل من فِهْر
وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم ... به زيدت البطحاء فخراً على فخر

فتزوج قصى بن كلاب ابنة حُلَيْل بن حُبْشِ الخُزاعى فولدت له أربعة نفر: عبد مناف وعبد الدار وعبد العُزَّى وعبداً ، فأما عبد فبادوا كلهم ، وأما عبد الدار فانهم قتلوا يوم أُحُد الا عثمان بن طلحة فانه أسلم ودفع النبى صلى الله عليه وسلم المفتاح اليه يوم فتح مكة ثم دفعه الى شَيْبَة ، وأما عبد العُزَّى فبقوا ومنهم خديجة بنت خُوَيْلد بن أسد بن عبد العُزَّى

وأما عبد مناف فولد عشرة نفر : فمنهم هاشم والحارث وعَبَّاد و مَخْرَمَة وعبد شمس والمطَّلِب ونوفل ، واسم عبد مناف المُغيرَة ، وكانوا يسمونه الغَمْر لجوده وفضله واليه صار السؤدَدُ بعد قُصَى ، فأما عبد شمس بن عبد مناف فانه

ولد ولداً يسمونه العبلات لأن اسم أمهم عَبْلة ، ويقال لعبد شمس أيضاً أميَّة الأصغر لأن لعبد مناف ولداً يقال له أميَّة الاكبر وولداً يقال له عبد العُزَّى والربيع يقال له جَزْو البطحاء ، وولد الربيع أبا العيص بن الربيع زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أخت خديجة . وأما أميَّة الأكبر فانه ولد حَرْبا وأبا حرب وسفيان وعمراً وأبا عَمْرو ويقال لهم العنابس شبهوا بالأسد ، والعاص وأبا العاص والعيص وأباالعيص ويقال لهم الأعياص . فأما حرب بن أميَّة فولد أباسفيان ابن حرب ، وأما أبو العاص فولد أبا عثمان بن عفان ، وأما أبو العيص فقالوا ولد أُسَيْداً أبا عَتَّاب بن أسَيْد أمير مكة ، وأما هاشم بن عبد مناف فاسمه عمرو وسمى هاشماً لأنه هشم الخبز ، ويقال كثر الخبز بالرحلتين بينهما فى الصيف الى الشام وفى الشتاء الى اليمن ، واليه صار السؤدَدُ بعد عبد مناف ، وولد هاشم ولداً لم يُعْقِب منهم أحدٌ غير أسَيْد بن هاشم وعبد المطلب بن هاشم ، وهلك هاشم بغزة من أرض الشام وكان وافاها فى تجارة له ، وخلفه ابنه عبد المطلب بن هاشم ، وعبد المطلب اسمه شيبة الحمد ، وذلك أن هاشم بن عبد مناف خرج الى الشام فى تجارة فمرَّ بالمدينة وتزوج بسَلْمَى بنت عمرو النجَّارية فحملت بشيبة ، ورحل هاشم فمات بأرض الشام وولدته سَلْمى وترعرع الغلام وصار وصيفاً ، فقدم ثابت بن المنذر أبو حسان بن ثابت الشاعر مكةَ فقال للمطلب بن عبد مناف لو رأيتَ ابن أخيك لرأيت جمَالا وشرفاً ورأيته بين آطام بنى قَيْنُقاع يناضل فتياناً من أخواله فيدخل فى مرْماتَيْه جميعاً فى مثل راحتى هذه ، والمرماة السهامُ ، وكانوا اذ ذاك يرمون بسهْمَيْن ، فخرج المطلب حتى قدم المدينة ومكث يرقب شيبة ، فلما أبصره عرفه بالشيبة ففاضت عينه ثم دعاه فكساه حُلَّة ثم رده الى أمه وأنشأ يقول :

عرفتُ شيبةَ والنجَّارُ قدجعلت ... ابناءها حَوْلها بالنَّبْل تَنْتَضِلُ
عرفتُ أجلادَه منا وشيمتَه ... ففاضَ منىّ عليه وا كفٌ سَبَلُ

ثم أتى أمَّه فضنت به فلم يزل بها يُقَبِّل فى الغارب والسنام حتى دفعته اليه

فاحتمله وقفل راجعاً الى مكة وهو رديفه ، ولم يكن للمطلب ولدٌ فقيل هذا عَبْدُه فنشب اللقب عليه . ثم لما هلك المطلب بن عبد مناف قام بالأمر عبد المطلب بن هاشم وكثرت أمواله وتأثلت مواشيه فأجمع أن يحفر بئر زمزم بين أساف ونائلة ليسقى الحجيج الأعظم ، وارادت أن تستشركه قريشٌ وادعت لنفسها حقاً فيها فأبى أن يعطيهم ، فتخاصموا وتحاكموا ، ولهم فى ذلك قصة كبيرة نضرب صفحاً عنها ، وتم له الأمر وأقام عبد المطلب سقاية زمزم للحجاج

وكان عبد المطلب نذر لله عز وجل حيث كان لقى من قريش مالقى عند حفره زمزم لئن وُلدَ له عشرة نفر يمنعونه ممن يريده لينحرَنَّ أحدهم لله عند الكعبة شكراً له ، فلما توافى بنوه العشرة جمعهم فأخبرهم بنذره قالو شأنك وما نذرت، قال ليأخذ كل رجل منكم قِدْحاً ثم ليكتب فيه اسمه ثم ليأتنى به ففعلوا ، فقام فدخل بهم على هُبَل فى جوف الكعبة وضرب عليهم قداحهم فخرج قِدْح عبد الله أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أصغرهم ، فأخذ بيده وحدَّد الشفرة وجره الى المذبح ، فقامت قريش من أنديتها وقالوا لاتذبحه أبداً حتى تعذر فيه ، لئن فعلت هذا لايزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا ، ولكن انطلق الى الحجاز فان بها عرَّافة لها تابع فَسَلْها ، فرحل عبدالمطلب وقص عليها القصص، فقالت صاحبكم وعشراً من الابل ثم اضربوا عليها بالقداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا حتى يرضى ربُّكم ، فرجعوا الى مكة وقربوا الابل هُبَل ولم يزالوا يضربون عليها بالقداح وعلى عبد الله والقداح تخرج عليه حتى بلغت الابل مائة ثم خرجت على الابل، فأمر فنحرت بالبطحاء وفى شعاب مكة وفجاجها وعلى رؤوس الجبال حتى أكلها الناس والطير ، ثم أخذ عبد المطلب بيد عبد الله حتى اذا أتى وهبُ بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى فزوَّجه ابنته آمنة بنت وَهْب ، وأم آمنة بَرَّة بنت عبد العُزَّى بن قصى بن كلاب ، فحملت آمنة بالنبى صلى الله عليه وسلم

ومات أبوه عبد الله بالمدينة والرسول حَمْلٌ فى بطن أمه فرثته آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى

عفا جانب البطحاء من آل هاشم وجاور لحداً مُدْرجا بالغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها وماتركت فى الناس مثل ابن هاشم

ثم توفى عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله ابن ثمان سنين أو أقل ، ورسول الله هو النبى الأمى الصدوق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ومابعد هذا النسب فغير مستقيم . وأنا لنكتفى بماذكرنا عن ذكر رجالات العرب فى الجاهلية والاسلام وكذلك به نكتفى عن ذكر تاريخ النبى الكريم الحافل بجليل الفعال وحميد الخصال والمشتمل على أشرف مبادىء الانسانية والحق والعدل حتى لانخرج عما رسمناه لأنفسنا فى تصنيفنا هذا من الايجاز

٧ — باب فى لغة جزيرة العرب واختلافها

اللغة العربية فى أسلوبها ونطقها وأوضاعها كثيرة الاختلاف باختلاف القبائل ، فقدتكون بين لغات قوم وآخرين فروق صغيرة فتسمى لهجات ، وقد تكون كبيرة وتسمى لغات

وأفصح لغات العرب لغة العرب المستعربة ، وأفصح العرب المستعربة سبع قبائل : قريش وهم أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة ويليهم فى الفصاحة بقية القبائل الست وهم : خمس من عُلْيا هَوازن وسَعْد بن بكر وجُشَم بن بكر ونَصْر ابن معاوية وثقيف ثم سفلى تميم ، قال أبو عبيد وأفصح هؤلاء بنو سعد بن بكر من هوازن ولذا قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب مَيْدَ أنى من قريش

وانى نشأت فى بنى سعد بن بكر » وكان مسترضعاً فيهم

وكانت قريش ولاة البيت ، فكانت وفود العرب من حجاجهم وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش ، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم ، فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب وأجودهم انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعةً وأبينها ابانة عما فى النفس . ومن الذين نقلت عنهم اللغة من قبائل العرب عدا قريش قيس وتميم وأسد وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ، فهؤلاء هم الذين عنهم أخذ وعليهم اتكل فى الغريب وفى الاعراب وفى التصريف ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ، فلم يؤخذ عن حضرى ولا عن سكان أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم ، فلم يؤخذ لا من لَخْم ولا من جُذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ، ولا من قضاعة وغسّان واياد لمجاورتهم أهل الشام والروم وأكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية ، ولا من تَغْلب ولا من بكر لمجاورتهم الفُرْس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ، ولا من بنى حنيفة ولا من أهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم

قال أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمْدانى (١) فى لغات أهل جزيرة العرب : أهل الشِّحْر والأسْعاء ليسو بفصحاء ، مَهْرَةُ غُتْمٌ يشاكلون العجم ، حضرموت ليسو بفصحاء وربما كان فيهم الفصيح وأفصحهم كِنْدَة وهَمْدان وبعض الصَّدِف ، سَرْو مذحج ومأرِب وبَيْحَان وحَرِيب فصحاء ورديء اللغة منهم قليل ، سرو حمير وجعْدة ليسو بفصحاء وفى كلامهم شيء من التحمير

١ — صفة جزيرة العرب

ويجرّون فى كلامهم ويحذفون فيقولون يا بن معمّ فى يابن العم وسمع فى إسمع، لحج وأبين ودثينة أفصح، العامريون من كندة والأوديون أفصحهم، عدن لغتهم مولّدة رديّة وفى بعضهم نوك وحماقة إلا من تأدب، بنو مجيد وبنو واقد والأشعر لا بأس بلغتهم، سافلة المعافر غتم وعاليتها أمثل، السكاسك وسط، بلد الكلاع نجديّة مثيل مع عشرة من اللسان الحميرى، سراتهم فيهم تعقّد، سحلان وجيشان وورّاخ وخضير والصهيب وبذر قريب من لغة سرو حمير، يحصب ورعين أفصح من حبلان وحبلان فى لغتهم تعقد، حقل قتات فإلى ذمار الحميرية القحّة المتعقدة، سراة مذحج مثل ردمان وقرن ونجدها مثل رداع، وإسبيل وكومان والحدا وقائفة ودقرار فصحاء، خولان العالية قريب من ذلك، سحمر وقرد والجبلة ومُلح والحج وحمض وعتمة وتيج (١) وسمح وأنس وألهان وسبط، الى اللكنة أقرب، حراز والأخروج وشم وماضح والأحبوب والجحارب وشرف أقيان والطرف وواضع والمعلل خليطي من متوسط بين الفصاحة واللكنة، وبينهما ما هو أدخل فى الحميرية المتعقدة لاسيما الحضورية من هذه القبائل، بلد الأشعر وبلد عك وحكم بن سعد من بطن تهامة وحوازها لا بأس بلغتهم، الا من سكن منهم القرى، وهمدان من كان فى سراتها من حاشد خليطي من فصيح مثل عذر وهنوم وحجور، وغتم مثل بعض قدم، وبعض الجبر نجديّ، بلد همدان البون منه المشرق والخشب عربى يخلط حميريّة، ظاهر همدان النجدىّ منه فصيح، ودون ذلك خيوان فصحاء، وفيهم حميرية كثيرة الى صعدة، وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلا فى مثل قولهم « أم رجل وقيّد بعيراك ورأيت أخواك» ويشركهم فى ابدال الميم من اللام فى الرجل والبعير وما أشبهه الأشعر وعكّ وبعض حكم من أهل تهامة، وعذر مطرة ونهم ومرهبة وسكن الرحبة من بلحرث فصحاء، صناف بالجوف الأعلى دون ذلك، خرمان وأثافت لا بأس بفصاحتهم، سكن الجوف فصحاء الا من خلطهم من

(١) — لم اهتد الى صحتها ولعلها ونيج

جيرة لهم تهاميين، قابلهم الشمالى ونعمانُ مُرْهِبَةَ فظاهرُ بنى عليّان وظاهر سفيان وشاكر فصحاء ، بلدُ وادعة بنو حَرْب أهلُ إمالة فى جميع كلامهم ، وبنو سَعْد أفصحُ ، من ذَمَار الى صنعاء متوسطٌ وهو بلدُ ذى جُرَة ، صنعاء فى أهلها بقايا من العربية المحضة ونُبَذٌ من كلام حمير ، ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات لكل بقعة منها لغةٌ ، ومن يصاقب شعُوبَ يخالف الجميع ، شبامُ أقْيان والمصانعُ وتُخلى حميرية محضة ، خولانُ صَعْدَةَ نجدُيها فصحاء ، وأهلُ فدّها وغورها غتْمٌ ، ثم الفصاحةُ من العِرْضِ فى وادعة فجَنْبٍ فيام فزُبَيْد فبنى الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران الى أرض يامٍ فأرض سَخان فأرض نَهْد وبنى أسامة فعَنَز فخثعم فهلال فعامر بن ربيعة فسراة الحجْر فدَوس فغامد فيشكُر ففهْم فثقيف فبَجيلة فبنو على ، غير أن أسافل سَرْوات هذه القبائل ما بين سراة خولان والطائف دون أعاليها فى الفصاحة ، وأما العَرُوض ففيها الفصاحةُ ماخلا قراها ، وكذلك الحجازُ فنجد السفلى فالى الشام والى ديار مُضَر وديار ربيعة فيها الفصاحةُ الا فى قراها ، فهذه لغات الجزيرة على الجملة دون التبعيضِ والتفنين »

١ — فصل فى اختلاف لغة العرب

واللغة العربية المعهودة أى لغة العرب المستعربة أو لغة قبائل شمال جزيرة العرب كثيرة الاختلاف باختلاف قبائلها بل فيها من اللغات ما هو مذموم

أما الاختلاف فمن الوجوه الآتية كما ذكر أحمد بن فارس

فمنها الاختلاف فى الحركات كقولنا نستعين ونِستعين بفتح النون وكسرها قال الفراء هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد ، وغيرهم يقولونها بكسر النون

ومنها الاختلاف فى ابدال الحروف نحو أولئك وألالِك وكقولهم عَنَّ زيداً يدلا من أنَّ زيداً

ومنها الاختلاف فى الهمز والتليين نحو مستهزؤن ومستهزون

ومنها الاختلاف فى التقديم والتأخير نحو صاعقة وصاقعة

ومنها الاختلاف فى الحذف والاثبات نحو استحييتُ واستحيتُ وصددتُ وأصددتُ

ومنها الاختلاف فى الحرف الصحيح يُبْدَل حرفا معتلاً نحو أمَّا زيدٌ وأيما زيدٌ

ومنها الاختلاف فى الامالة والتفخيم فى مثل قضى ورمي

ومنها الاختلاف فى التذكير والتأنيث فان من العرب من يقول هذه البقر ، ومنهم هذا البقر

ومنها الاختلاف فى الادغام نحو مهتدون ومهدّون

ومنها الاختلاف فى الاعراب نحو ما زيدٌ قائما وما زيد قائمٌ وكقوله تعالى « فذلك برهانان من ربِّك » لم تحذف منها نون التثنية للاضافة

ومنها الاختلاف فى صورة الجمع نحو أسْرى وأسَارى

ومنها الاختلاف فى هاء الوقف على التأنيث مثل هذه أمة وهذه أمّت

ومنها الاختلاف فى الزيادة نحو أنظُر وأنظُور

ومنها الاختلاف فى التضاد نحو قولهم فى لغة حمير ثِب بمعنى أُقعُد

قال ابن جنى فى تعليل هذا الاختلاف : ان سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظُرُهُ عليهم ، ألا ترى أن لغة التميميين فى ترك اعمال « ما » يقبلها القياس ولغة الحجازيين فى اعمالها كذلك لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به ويُخْلَدُ الى مثله ، وليس لك أن تردَّ احدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها ، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير احداهما فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبلُ لها وأشد أُنساً بها فأما ردُّ احداهما بالأخرى فلا ، الى أن قال فأما أنْ تقِلَّ احداهما جداً أو تكثر الأخرى جداً فانكَ تأخذُ بأوسعها روايةً وأقواهما قياساً »

٢ — فصل فى المذموم من اللغات

أما اللغات المذمومة فهى :

العَنْعَنَةُ فى لغة تميم وهى قلبهم الهمزة فى بعض كلامهم عيناً فيقولون «سَمِعْتُ عنَّ فلاناً قال كذا» يريدون «أنَّ»

والكَشْكَشَةُ فى أسد وهى إبدال الكاف شيناً فيقولون عَلَيْش بمعنى عليك أو أنهم يصلون بكاف ضمير المؤنث شيناً فى الوقف فاذا وُصلت أسقطت الشين فيقولون عليكِش وإنَّكِش وأعطيتُكِش ورأيتُكِش

والكسكسة التى فى هوازن وهى أن يصلوا بالكاف سينا فيقولون عَلَيْكِس. منكِس وبنكِس وأعطيتُكِس وهذا فى الوقف دون الوصل أيضاً

وتَلْتَلَة بهراء فانهم يقولون تِعْلَمُون وتِفْعَلُون وتِصْنَعُون بكسر أول الحرف وعجرفية ضَبَّة وقَيْس، وفراتية العراق ، وغَمْغَمة قضاعة ،يجعلون الياء المشددة جيماً يقولون تميمج فى تميمىّ

وطُمْطُمانية حِمْيَر ، والفَحْفَحَةُ فى لغة هذيل وهى جعل الحاء عيناً ، والوَكم فى لغة ربيعة يقولون عليكِم وبكِم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة ، والوهم فى لغة كَلْب كَنْهِم وعنهِم وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة ، والإستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس بجعل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء كأنطى فى أعطى ، والوتم فى لغة اليمن بجعل السين تاء كالنات فى الناس، والشِّنْشِنَة بجعل الكاف شيناً كَلَبَّيْش اللهم لَبَّيْش أى لبيك

ومن العرب من يجعل الكاف جيما كالجَعْبة يريد الكعبة

قال ابن جنى فى ذلك فاذا كان الأمر فى اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يَقِلَّ استعمالها وأن يُتَخَيَّر ماهو أقوى وأشْيَعُ منها ، الا أن إنسانا

لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين ، فأما ان احتاج الى ذلك فى شعر أو سجع فانه مقبول منه غير منعيٍّ عليه

٨ — باب فى مراتب كلام العرب

وكلام العرب من حيث البيان والوضوح على ثلاثة ضروب واضح ومشكل ومشتبه

فاما واضح الكلام (١) فالذى يفهمه كل سامع عَرَفَ ظاهر كلام العرب نحو شربت ماء ولقيت محمداً وكما جاء فى القرآن الشريف « حُرِّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحم الخنزير » وقول النبى محمد صلى الله عليه وسلم « اذا استيقظ أحدُكم من نومه فلا يَغْمِس يدَه فى الاناء حتى يغسلها ثلاثاً » وكقول الشاعر

ان يحسدونى فانى غير لائمهم قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسِدُوا

وهذا الضرب هو أكثر كلام العرب وأعمه

الضرب الثانى المشكلُ : وهو الذى يأتيه الاشكال من غرابة لفظه أو أن تكون فيه اشارة الى خبر لم يَذْكُرْهُ قائلُهُ على جهته ، أو أن يكون الكلام فى شىء غير محدود ، أو يكون وجيزاً فى نفسه غير مبسوط ، أو تكون ألفاظه مشتركة . فاما المشكل لغرابة لفظه فقول القائل « يَمْلُخُ فى الباطل مَلْخاً يَنْفُضُ مِذْرَوَيْه وقوله أَيُدَالِكُ الرجلُ المرأةَ » قال « نعم » اذا كان مُلْفَجاً ؛ وقوله أَعْمَدُ من سَيِّدٍ قتله قَوْمُهُ ، وقال ابن مَيَّادَة

وأعمدُ من قوم كفاهم أخوهُم صدامَ الأعادى حين فُلَّتْ نُيُوبُها

قال الخليل ومعناه هل زِدْنا على أن كُفِينا وقال ذُؤَيبٌ

ضخمُ الشوارب لايزال كأنهُ عبدٌ لآل أبى ربيعةَ مُسْبَعُ

فقوله مُسْبَعٌ مافسر حتى الآن تفسيراً شافياً

وقول الأعشى

(١) الصاحبى لاحمد بن فارس

ذات غَرْب ترمى المُقدَّمَ بالرَّدْ   ف اذا ماتتابع الأَرْواق

وكقوله فى هذه القصيدة

المهنين مالهم فى زمان الـ   جدْب حتى اذا أفاقَ أفاقوا

وكقولهم: « ياعِيدَ مالَك » و «ياهَيْءَ مالك » « ياشَىْءَ مالكَ »

وقولهم: بخسائِيكَ أَلحق و يهتفون وحَيْ هَلْ

وقولهم « صَهْ » و « و يْهكَ » و « اِيِنهْ » فلم يفسروا ذلك

ومن المشكل الغريب «حَيَّ » و «حَيَّهلاَ »و« بعين ما أرَيَنَّك» فى موضع أَعْجَل . و« هَجْ » و « هَجَا » و « دَعْ » و « دَعَا » و« لَعاً »

الدعاء للعاثر

وكقولهم للزجر : « أَخِّر » و « أَخِّرِى » و « ها » و « هَلاَ » و«هَاب »

و« أرْحَبِى » و « عَدَّ » و « عَاج » و « ياعاطِ » و « إِجْدِ »و« أجْدِم »

و « جِدِّجْ » وقول الشاعر :

وما كان على الجَىْءِ   ولا الهَىْءِ امتداحيكا

فلا يعلم أن أحداً فسَّر هذا

ومن الغريب فى شعر العرب قوله

وقاتم الأعماق شأزٍ بمن عوَّه   مَضْبُورَةٍ قَرْواء هِرْجابٍ فُنُق

وقول القائل :

كذبتُ عليكم أوعِدُونى وعَلِّلوا   بِيَ الأرضَ والأقوامَ قِردانَ مَوْظبَا

وقول الآخر :

كذبَ العَتيقُ وماء شَنٍّ باردٌ   إن كنتِ سائلتى غَبُوقًا فاذهبِ

وقول الأفوه :

عنكمُ فى الأرضِ انَّا مَذْحِجٌ ؛ وَرُوَيداً يفضَحُ الليلَ النهارُ فعنك فى الأرض أو عنك شيئاً من الغريب الذى لم يفسر

وقول امرىء القيس،

دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ

وقولهم : ان العصا قُرِعَتْ لذى الحِلْمِ

ومن الغريب المشكل فى أمثال العرب : بَاقِعَةٌ ، وشرابٌ بأنقع ، ومخرنبقٌ لِيَنْبَاع ، ومنه رُوَيْداً سَوْقَكَ بالقوارير ، وقوله النَّمَرَاتِ ثم يَنْجَلِينَا ، وقوله وضعوا اللُّجَّ على قَفَىَّ ،

ومن الغريب فى كتاب الله جلَّ ثَنَاؤُهُ : « فلا تَعْضُلُوهُنَّ » « ومن الناس من يَعْبُدُاللهَ علىحرف » و « سَيِّداًوَحَصُوراً » وَ« يُبْرِئُ الأَكْمَهَ » وغيره كثير مما صنف العلماء فى كتب غريب القرآن

ومما جاء فى الحديث من الغريب « على التِيعَةِ شاةٌ » « والتِيمَةُ لصاحبها » وفى السُّيُوب الخُمُس لأخِلاط ولا وِراطَ ولا شِنَاقَ ولا شِغَارَ « ومن أجْبَي فقد أرْبى »

الضرب الثالث : المشتبه . وهو ما ليس بغريب اللفظ ولكن الوقوف على كنهه معتاص كقولهم الحين والزمان والدهر والأوان وكقولهم عُبْسور فى الناقة و ، امرأةٌ ضِنَانىٌ ، و « فَرَسٌ أَشَقُّ أُمَقُّ خِبَقٌّ »

وقد كان لهذا الكلام كله ناسٌ يعرفونه ويعلمون معنى ما نستغربه اليوم ولكن ذهب هذا كله بذهاب أهله ولم يبق عندنا الا الاسم الذى نراه

٩ — باب فى بلاغة القرآن

ذكرنا فيا تقدم أختلاف لغات قبائل العرب وبينا الفصيح منها من الغُثْمىّ وعددنا وجوه الكلام والآن نذكر أفصح الكلام العربى على الاطلاق وهو القرآن الشريف ، فقد جاء نظمه فى الغاية القصوى من الفصاحة والسلامة من جميع العيوب ، وان أوجز وصف له أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها مع تحدى النبى الكريم اياهم وتعريفهم بالعجز عنه « وهم الغاية فى الفصاحة

والنهاية فى البلاغة ،وأولو العلم باللغة والمعرفة بانواع الكلام من الرسائل والخطب والسجع والمقفى والمنثور والمنظوم والأشعار فى المكارم وفى الحب والزجر والتحضيض والاغراء والوعد والوعيد والمدح والتهجين ، فقرع به أسماعهم وأعجم به أذهانهم وقبح به أفعالهم وذمَّ به آراءهم وسفَّه به أحلامهم وأزال به دياناتهم وأبطل سننهم ، ثم أخبر عن عجزهم مع تظاهرهم أن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً مع كونه عربيا مبيناً » (مروج الذهب) . وان أحسن ماقيل فى وصفه ماذكره القاضى عياض فى الشفا ننقله هنا قال : ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه : أوَّلُها حسنُ تأليفه والتئام كلِمه وفصاحتُه ووجوهُ ايجازه وبلاغتُه الخارقةُ عادة العرب ، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام ، قد خُصُّوا من البلاغة والحِكَم مالم يُخَصَّ به غيرهم من الأمم ، وأوتوا من ذرابة اللسان مالم يُؤتَ انسانٌ ، ومن فصل الخطاب ما يُقَيِّدُ الالبابَ ، جعل الله لهم ذلك طبْعاً وخلقةً ،وفيهم غريزةً وقوةً ، يأتون منه على البديهة بالعَجب ويَدلُون به الى كل سبب ، فَيخْطُبون بديهاً فى المقامات وشديد الخُطَبِ ، ويَرْتجزون به بين الطعن والضَّرْبِ ، ويمدحون ويقدحون ويتوسَّلُون ويتوصلون ويرفعون ويضعون ، فيأتون من ذلك بالسِّحْر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سُمُط اللآل فيخدعون الالباب ويُذَلِّلون الصعاب ، ويُذْهبون الاحَن ويهيجون الدمَن ويُجرِّئون الجَبان ويَبْسُطُون يد الجعْد البنان ،ويُصَيِّرون الناقص كاملاً ويتركون النبيه خاملا ، منهم البَدَوِىّ ذو اللفظ الجزْل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهَرِى والمنزع القوى ، ومنهم الحَضَرِى ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات الجامعة ، والطبع السهل والتصرف فى القول القليل الكُلْفَة الكثير الرونق الرقيق الحاشية ، وكلا البابين فلهما فى البلاغة الحُجَّةُ البالغة والقوة الدامغة والقِدْحُ الفالج والمَهْيَعُ الناهج ، لا يَشُكُّون أن الكلامَ طوْعُ

مرادهم والبلاغة ملك قيادهم ، قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ، ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها ، فقالوا فى الحطير والمهين وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثر ، وتساجلوا فى النظم والنثر ، فما راعهم إلاَّ رسولٌ كريمٌ بكتاب عزيز لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أُحْكِمَتْ آياتُه وفصلت كلماتُه وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر ايجازُه واعجازُه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطِعه ، وحوت كلَّ البيان جوامِعه وبدائعه ، واعتدل مع ايجازه حُسْن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختارُ لفظه ، وهم أفسَحُ ما كانوا فى هذا الباب مجالاً ، وأشهرُ فى الخطابة رجالاً وأكثر فى السَجْع والشعر ارتجالاً ، وأوسعُ فى الغريب واللغة مقالاً بلُغتهم التى بها يتحاورون ومنازعهم التى عنها يتناضلون ، صارخاً بهم فى كل حين ، ومقرِّعاً لهم بِضْعاً وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين ، الخ.

الوجه الثانى من اعجازه صورةُ نظمه العجيب والأسلوبِ الغريبِ المخالفِ لأساليب كلام العرب ومنهاجِ نظمها ونثرِها الذى جاء عليه ، ووقفتْ مقاطعُ آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظيرٌ له ، ولا استطاع أحدٌ مُماثَلةَ شئ منه ، بل حارت فيه عقولهم وتدلَّهتْ دونه أحلامُهم ، ولم يهتدوا الى مثله فى جنس كلامهم من نثرٍ أو نظمٍ أو سجعٍ أو رَجَزٍ أو شعرٍ ، ولما سمِعَ كلامَهُ صلى الله عليه وسلم الوليدُ بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رَقَّ ، فجاءه أبو جهل منكراً عليه ، فقال والله ما منكم أحدٌ أعلمَ بالأشعار منى والله ما يُشْبِهُ الذى يقول شيئاً من هذا ، وفى خبره الآخر حين جمَعَ قريشاً عند حضور الموسم وقال ان وفودَ العرب تردُ فأجمعوا فيه رأياً لا يُكَذِّبُ بعضكم بعضاً ، فقالوا نقولُ كاهنٌ قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه ، قالوا مجنونٌ قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته ، قالوا فنقولُ شاعرٌ قال ما

هو بشاعر ، قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر ، قالوا فنقول ساحرٌ قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده ، قالوا فما تقول ، قال ما أنتم بقائلين من هـذا شيئاً إلاَّ وأنا أعرفُ أنه باطل وأن أقربَ القـول أنه ساحرٌ فإنَّه سحرٌ يُفرِّق بين المرء وابنـه والمرء وأخيـه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته ، فتفرقوا وجلسوا على السُبُل يحذّرون الناس ، فأنزل الله تعالى فى الوليد « ذَرْنى ومن خلقتُ وحيداً » الآيات ، وقال عُتْبةُ ابن ربيعة حين سمع القرآن يا قومِ لقد علمتم أنى لم أترك شيئاً الا وقد علمتُه وقرأتُه وقلته والله لقد سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثلَه قطُّ ، ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، وقال النَضْرُ بن الحرث نحوه ، وفى حـديث اسلام أبى ذَرّ ووصف أخاه أُنَيْساً فقال والله ما سمعتُ بأشعرَ من أخي أُنَيْسٍ لقد ناقَض اثنى عشر شاعراً فى الجاهليـة أنا أحَدُهُم وأنه انطلق الى مكة وجاء الى أبى ذرّ بخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، قلتُ فما يقول الناس ، قال يقولون شاعرٌ كاهنٌ ساحرٌ لقد سمعت قول الـكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعتُه على أقْرَاء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدى أنهُ شعرٌ وإنه لصادقٌ وأنهم لـكاذبون ، والأخبارُ فى هذا صحيحةٌ كثيرةٌ ، والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجازُ والبلاغةُ بذاتهما ، والأسلوبُ الغريبُ بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق ، لم تقدر العربُ على الاتيان بواحد منهما اذ كلّ واحد خارج عن قدرتها مباينٌ لفصاحتها وكلامها ، والى هذا ذهب غيرُ واحد من أئمة المحققين ، وذهب بعض المقتدَى بهم الى أن الاعجاز فى مجموع البلاغة والأسلوب ، وأتى على هـذا بقول تمجُّه الأسماعُ وتَنفِرُ منه القلوبُ ، والصحيحُ ما قدمناهُ والعلمُ بهذا كله ضَرُورَةً وقطعاً ، ومن تفنَّن فى علوم البلاغة وأرهف خاطِرَه ولسانه أدَبُ هذه الصناعة لم يخفَ عليه ماقلناه ، وقد اختلف أئمة أهل السنة فى وجه عجزهم عنه ، فأكثرهم يقول انه مما جَمع فى قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تأليفه

وأسلوبه لا يَصحُّ أن يكون في مقـدور البشر ، وأنه من باب الخوارق المتَنِعة عن أقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيـح الحصى ، وذهب الشيـخ أبو الحسن الى أنه مِمَّا يُمكِن أن يدخل مثله تحت مقـدور البشر ويُقدِرُهم الله عليه ، ولـكنَّه لم يكن هذا ولا يكون ، فمنعَهم الله تعالى وعجَّزهم عنه ، وقال به جماعةٌ من أصحابه وعلى الطريقين ، فعجْزُ العرب عنه ثابتٌ واقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحدِّيهم بان يأتوا بمثله قاطعٌ ، وهو أبلغُ في التعجيز وأحرى بالتقريع ، والاحتجاجُ بمجيء بشر مثلهـم بشيء ليس من قدرة البشر لازمٌ وهو أبهرُ آيةً ، وأقمعُ دلالة ، وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال ، بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغَّار والذل ، وكانوا من شموخ الأنف وابائة الضيْم بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً ، ولا يرضونه الا اضطراراً ، والا فالمعارضةُ لو كانت من قُدَرِهم والشُّغْل بها أهون عليهم ، وأسرع بالنُجْح وقَطْع العُذْر وافحام الخصْم لديهم ، وهم ممن لهم قدرةٌ على الـكلام وقدوةٌ في المعرفة به لجميع الأنام ، وما منهم الا من جَهَدَ جُهْدَه واستنفَدَ ما عنده في اخفاء ظُهُوره واطفاء نوره ، فما جَلَوْا في ذلك خبيئةً من بنات شفاههم ، ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الأمَد وكثرة العَدد ، وتظاهر الوالد وما وَلَد ، بل أُبْلِسوا فما نبسوا ومُنِعُوا فانقطعوا ، فهذان نوعان من اعجازه ، ونكتفي بذلك خشية التطويل

١٠ — باب في اللغة العربية بين اللغات

اللغة العربية هي احدى اللغات الساميَّة أي اللغات التي تتكلمها الأمم السامية ، وهي التي سكنت شمالي بلاد العرب وجنوبيها وفي بابل وآشور ، والآراميون على اختلافهم والعبرانيون والفينيقيون والأثيوفيون وأمم شمال افريقية وبعض سواحلها الشرقية ،

وهذه اللغات وهى السريانية والعبرانية والآرامية والفينيقية والعربية والحبشية ، بعضها لا يزال حياً وبعضها مات واندثر ،

واطلاق لفظ سامية على هذه اللغات سببه أن شاوزر (١) فى أواخر القرن الثامن عشر حوالى عام ١٧٨١ بعد الميلاد ، لما رأى تقارب هذه اللغات بعضها من بعض ، ورأى الامم التى تتكلمها وهم الآراميون والعبرانيون والعرب هم من نسل سام بن نوح ، كما جاء فى الكتاب الاول من كتب موسى فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، أطلق اسم اللغات السامية على هذه اللغات جميعاً

وسفر التكوين هذا يقسم أمم أسيا القديمة الى ثلاثة أقسام كبار ، على رأس كل قسم منها واحد من أولاد نوح وهم سام وحام ويافث ، فقد جاء فى الاصحاح العاشر من سفر التكوين مايلى «وهذه مواليد بنى نوح سام وحام ويافث الخ.. »

وترتيب الأمم كما ذكر فى سفر التكوين ليس مبينا على مبادىء لغوية ولا على أصول شعبية ، وانما هو للعلاقات السياسية والجغرافية والروابط العمرانية ، ولذلك فان العيلاميين واللوديين ليسو هم من نسل عيلام بن سام بن نوح ولكنهم يتكلمون لغة لها اتصال باللغة السريانية وهاجر الى بلادهم كثير من الساميين ، فى حين أنه قد نسب أقرب الأمم الى العبرانيين لغة وتاريخاً ، وهم الفينيقيون والكنعانيون الى حام للعلاقات السياسية والعمرانية المتينة بينهم وبين المصريين ، وكذلك لم يوضح سفر التكوين أمم جنوب بلاد العرب وبلاد أثيوفية تمام الوضوح ، وليست الأمم المذكورة هنا هى كل مايشمله لفظ الامم السامية ، فانه يوجد من البراهين القوية مايثبت أن المصريين هم من الامم السامية ، وكلما تقدمت دراسة أقدم صور الكلام المصرى القديم زادت مشابهته للغات السامية وضوحاً ، وللاستاذ أرمن Erman العالم بالآثار والعاديات المصرية رأى فى ذلك ، وهو أن المصرى القديم هو لغة سامية انفصلت من فجر التاريخ عن أخواتها واتبعت طريقها الخاص من آلاف السنين ، وللاستاذ أدوار نابيل (٢) بحث

(1) La science du langage par Max Müller, Paris 1876
(2) Edouard Naville, L' évolution de La Langue Egyptienne et des Langues semitiques, Paris 1920

مستفيض فى هذا الموضوع فى كتابه الموسوم نشوء اللغة المصرية واللغات السامية المطبوع فى باريس عام ١٩٢٠، فليراجعه من أراد الاستفاضة فى هذا الموضوع

على أن هـذا الاسم هو فى الواقع أحسن ما يتفق على وضعه من الاسماء، وجعْلُ العلم الحديث معنى آخر له غير مايراد به فى سفر التكوين لا يمنع من استعماله

واللغات السامية هى أقرب شبهاً بعضها من بعض من اللغـات الآرية وهى الهندية الأُروفيّة

وهذه الاعتبارات عينها تنطبق بعض الانطباق على اللغات المسماة حامية نسبةً الى حام بن نوح، وهى عدا المصرية والقبطية لغات البربر التى يتكلم بها فى شمال أفريقية من برقة الى البحر المحيط، وهى القبائلى والطَماشك، ولغات الـكوشيين التى يتكلم بها فى بلاد الحبشة وما يجاورها من الأقاليم على سواحل البحر الاحمر بقرب مصوع وباب المندب وساحل المحيط الهندى وجنوب بلاد الحبشة ، وهى البشارية والبُجَه والسّاهو والجَلاّ والدنقلى (جمعها دناقل) أو عَفَر والصومالى ولغـات آغو والبيلين والخَمير والقرا الخ ، فان لمجموع هذه اللغات شبهاً باللغات السامية لاسيما المطابقة العجيبة فى صور الكلمات، وسواءاً كانت المطابقة ناشئة عن قرابة، وهو ما يظهر بعيد الثبوت، أو عن استعارة فان هـذه اللغات لا مشاحة قد انفصلت بعضها عن بعض قبل التاريخ

والاختلاف بين اللسان المصرى القديم وبين اللغات السامية كالعربى والعبرانى أقل منه بين هذه اللغات وبين اللغات البربرية والـكوشية حتى جعل قوم يذهبون الى عد اللغة المصرية القديمة من اللغات السامية

ووجوه القرابة بين اللغات السامية واللغات الحامية، التى هى المصرية القديمة والقبطية والطَمَشك والبُجَه والَجلاّ والسومالى والساهو ولغات آغو وهى البَلين والَخير والقرا والدناقل أوعفار، هو أولا وجود الحروف الحلقية كالهمزة والعين فيها كما فى اللغات السامية ، وثانياً أن أصول كلماتها ثلاثية ، وثلثا تشابه الضمائر المتصلة فى المجموعتين من اللغات ، ورابعاً أن الفعل المتعدّى فى كلاهمـا يكون بتشديد عين الفعل مثل قتّل وبعّد الخ

وهذه اللغات الأفريقية يطلق عليها غالباً لفظ السامية الحامية

١١ — باب في القول في مهد الساميين

وقد اختلفت الآراء فى مهد الساميين ومبدأ نشأتهم ، والمتفق عليه الآن أن منبتهم ومهد نشأتهم هو جزيرة العرب ، وهو رأى كثير من العلماء ، ثم انفصلوا أقواماً رحلوا الى الشمال أولا حيث غزوا أرض الجزيرة (بابل وآثور والعراق) وطغوا على أممها المتمدينة قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من السنين ، ثم تحضروا وبنوا المدن والقرى وخالطوا أهل البلاد الأصليين الصوميريين والأكاديين ، وتعلموا منهم الخط (البابلى) والأدب ورحلوا الى الجنوب كذلك ، فهاجروا الى بلاد الحبشة وكوّنوا أممها السامية وتفرقوا فى كل مكان، حيث نمت معهم لغتهم وحفظوا مميزاتهم

وذكر عبدالله بن المقفع (١) أن بادية الحجاز كانت فى الزمان الأول كلها ضياعاً وقرى ومساكن وعيوناً جارية وأنهاراً مطرّدة ثم صارت بعد ذلك بحراً طافحاً تجرى فيه السفن ثم صارت قفراً يابساً ولا يدرى كيف اختلفت عليها الأحوال ولا كم يختلف الا الله تعالى

وقد حاول العالم الايطالى الاميرقاطانى داطيانوا (Prince Caetani da Teano) أن يستدل بالبراهين المستنتجة من الحوادث الأرضية (الجاولوجية) على أن بلاد العرب كانت فى العصور المتقدمة على التاريخ بلاداً خصبة ترويها ثلاثة أنهر عظام وتطعم شعباً كثير العدد ، فلما انحسرت المثالج الشمالية العظيمة وجفت الأرض اضطر سكانها الى البحث عن مساكن لهم خارج الجزيرة

والعرب الساكنون فى الصحراء فى قلب الجزيرة لانفصالهم عن مجاوريهم، وتحصنهم فى جوف جزيرتهم ، وقلة مخالطتهم الأمم المجاورة لهم ، حفظوا لذلك السبب كثيراً من مميزاتهم القديمة وعوائدهم ولغتهم من التغيير والتبديل دون سائر أقوامهم الذين نزحوا عن بلادهم أفواجا الى أطراف الجزيرة ، حتى جاء

---

(١) البدء والتاريخ ١٥٠ جزء ٢

الأسلام فى القرن السابع الميلادى ، فتعززت بذلك قوتهم وقويت شوكتهم واندفعوا بعامل الدين الى فتح البلاد ، فتغلبو فى مدة قرن من الزمان على أسيا الغربية وشمال افريقية ، وامتد سلطانهم من قلب الهند الى جوف فرنسة ، ونقلو معهم لغتهم ومدنيتهم التى شادوها على تراث المدنيات التى تقدمتهم .

وقد دلت الابحاث الأثرية والاستكشافات التاريخية على ما كان لبلاد العرب الجنوبية الغربية من المدنية والتقدم والعمران نحو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وهى أخصب بلاد العرب أرضاً وأوفرها محصولا ، وكانت أشهر مدنها العامرة مَعين وسباء ، ومن بلاد اليمن اجتاز العرب المجاز المسمى باب المندب الى الساحل المقابل لبلادهم من افريقية وتوطنوا فيه وكونوا مملكة مستقلة تسمى أثيوفية أو بلاد الحبشة ؛ بل أن هذه الأمة الجديدة كثيراً ماحاربت أمها القديمة وملكت بلادها .

١٢ — باب فى تقسيم اللغات السامية (١)

اللغات السامية تنقسم الى قسمين عظيمين قسم شرقى ، وهو الذى يشمل لغات بابل وآثور ، وقسم غربى ، وهذا القسم الغربى ينقسم الى قسمين شمالى ويشمل الكنعانيين (وهم الفينيقيون والعبرانيون) والمؤابيين والأراميين و. قسم جنوبى ويشمل العرب والحِمْيرين والحبش

والكنعانيون هم قوم من الساميين دخلو هذه البلاد الشمالية المتمدينة قبل الأراميين وسكنوا الغور الموازى لشاطئ بحر الروم ، وأقدم آثارهم الكتابية اللغوية وهى كتابة بحروف ولغة بابلية أى بحروف اسفينية أو مسمارية ، كتبها بعض أمراء فلسطين فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد الى أمينوفيس الرابع ملك مصر ، وهذه الكتابة وجدت فى تل العمارنة فى مديرية أسيوط ، وفى هذه الكتابة توجد أخص الصفات المميزة للنطق الكنعانى وفيها الالف الممدودة

(١) معولنا فى كتابة هذا الفصل فى الاكثر على محاضرات استاذنا الدكتور أنوليتمان التى ألقاها فى الجامعة المصرية وعلى كتاب بروكلمان فى مقارنة اللغات السامية وعلى دائرة المعارف العبرية Jewisch encyclopedia

محولة الى ألف مائلة ، وينسب ذلك الى وجود هذا النطق عند الامم التى سكنت هذه البلاد قبل الساميين، ومن أقدم آثارهم كذلك بعد كتابة تل العمارنة كتابة ميشع ملك مؤاب وتاريخها ٩٠٠ قبل المسيح، وقد اكتشفت فى سنة ١٨٦٨ وهى محفوظة فى متحف اللوفر فى باريس ومنها تعرف جميع الخصائص النحوية والانشائية المميزة لأشهر اللهجات الكنعانية وهى العبرانية

وأهم اللهجات الكنعانية هى العبرية لغة بنى اسرائيل ، وأقدم آثارها ترنّم دَبُوره الذى يرجع الى زمن الفتح أى الى ستة قرون قبل المسيح ، وقد كان زوال الاستقلال اليهودى ضربة قاضية على اللهجة العبرية ، ولم يهجر المنفيون من بلاد بابل من العبرانيين لسانهم، ولكنهم تمسكوا به بقدر اشتداد المحن التى كابدوها فى عقائدهم ، ولما عادوا الى بلادهم وجدوا لغتهم لا تزال حية يتكلم بها العامة ، ومنذ ابتدأ العصر اليونانى اضمحلت اللغة العبرية ، ولم يتمكن الذين هاجروا الى مصر أو توغلوا أبعد من ذلك غرباً من حفظ لغتهم الاصلية أزاء اللغة الاغريقية، وكذلك الذين لم يبرحوا أرضهم فقد كان موقفهم كذلك الموقف حيال اللغة الأرامية التى انتشرت حينئذ فى جميع آسيا الغربية حتى صارت لغة العامة ، ولم يمكنهم حفظ لغتهم الوطنية من الأرامية لتقارب اللهجتين بعضهما من بعض، وصارت اللهجة العبرانية لغة الدين مدة قرون ،وكتب بها بعض الكتابات بعد أن هجرها العامة بزمن طويل ، ومن أهم اللهجات الكنعانية بعد العبرية الفينيقية ولهذه اللهجة آثار كتابية يرجع بعضها الى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد ، وهى تطابق اللهجة العبرية بأصولها السواكن مطابقة تامة ، وأشهر مدن فينيقية مدينتا صور وصيدة . والفروق بينها وبين اللهجة العبرية فى الحروف المتحركة أهم منها فى الحروف السواكن ، وكذلك النحو ،على ما يفهم من انشاء الكتابات، لم يكن مطابقاً تمام المطابقة للنحو العبرى ، وأعظم الخصائص النحوية فى اللهجة العبرية والمشتركة بينها وبين اللهجة المؤابية استعمال الزمن فى حكاية الماضى فى الكلام فانه يبتدأ بالتام ويستتبع بالناقص ويقابل ذلك أن للفينيقين بناء للفعل غير معروف فى اللهجة العبرية ولكنه وجد بعد ذلك فى اللغة العربية وهو صحة الدلالة على

الأزمان باستعمال فعل مساعد هو كان أمام التام من الفعل لجعله غير تام

وقد انتشرت اللغة الفينيقية فى أكثر بلاد ساحل بحر الروم وخاصة فى شمال أفريقية فى قرطاجة وما حولها من البلدان

١ — فصل فى تقسيم اللهجات الآرامية

اللهجات الآرامية على قسمين قسم غربى وقسم شرقى

فالقسم الغربى يشمل : ١ الآرامية الغربية القديمة المختصة بالتوراة والبردى. ٢ التَدْمُرى — ٣ النَبَطى — ٤ الآرامية اليهودية المقدسة والجليلية أى الفلسطينى. ٥ الآرامية الفلسطينية النصرانية — ٦ السامرى

والقسم الشرقى يشمل — ١ الآرامية البابلية أو اليهودى البابلى ـ ٢ المانيةَّ أى لغة أتباع مان وهم الصابئة ـ ٣ السريانى القديم والجديد

واللهجات الآراميــة هــذه كانت منتشرة فى بلاد بنى آرام ما بين كنعان. والجزيرة أى بابل وآثور وهى التى يطلق عليها اسم سوريا، والمظنون أن بنى آرام. هؤلاء أتوا من البادية كالعبريين وبقية بنى سام وتغلبوا على البلاد نحو القرن. الثامن قبل الميلاد ، وانتشرت لهجاتهم فيها قليلا قليلا وحلت محل البابلية والآثورية. والعبرية والفينيقية ، وصارت اللغة الأرامية لغة عمومية فى ذلك الزمان، يكتب. بهــا الاهالى ويتكلمون من حدود مصر الى أرض فارس ومن جزيرة العرب. الى بلاد الأناضول أى أهل ســوريا وفلسطين والعراق وهم بنو آرام واليهود. والفينيقيون ، وكانت لغة سياسية مثل اللغة الفرنسية فى العصر الحاضر حتى جاء. العرب فى الفتح الاسلامى فورثت لغتهم هــذه اللهجات

ومن اللهجات الآرامية التى ذكرناها التدمرية والنبطية

ومملكة تَدْمُر كانت تحت حكم الرومان فحاربت ملكتها الزَبَّاء التى يسميها اليونانيون والرومان زينوبيا الدولة الرومية طالبة استقلال بلادها ،فأسرها الرومان. وشهروا بها فى رومة عاصمة بلادهم ، ولهجتهم آرامية وبها قليل من العربية وملكتهم. هذه عربية الأصل

وأما النبطية فهى لغة النبط وأصلهم من العرب خالطهم قليل من بنى آرام وملوكهم الحارثيون ، ولغة العامة فى مملكة النبط هى لهجة عربية ، ولما كانت الأرامية لهجة دولية كما قدمنا استعملها النبط فى كتاباتهم ، وكتابة النبط هذه مشهورة ، لأن من الخط النبطى اشتق الخط العربى القديم ولما كان خطهم آرامياً سمّى العرب كل الأرامين نَبَطاً ، ولما كان بعض بلاد الأراميين خصباً اشتهر النبط بالفلاحة ، وكانت مملكة النبط عظيمة القدر فى القرنين الاول قبل الميلاد والاول بعده ، وقصبة بلادهم صَلَع أو سَلع فى وادى موسى بالقرب من معان وتسمى عند اليونانيين بطرا Petra ومعنى الاسمين واحد ، ومن أشهر مدنهم مدائن صالح فى جزيرة العرب

وكان النبط يستعملون اللهجة الأرامية مخلوطة ببعض الكلمات العربية ، ثم تنوسى اللسان الآرامى قليلا قليلا حتى باد فى سنة ثلاثمئة بعد الميلاد تقريباً ، ثم كتبو لغتهم العربية بحروف نبطية ، وأقدم ما كتب بلغة عربية وحروف نبطية هى كتابة النمَارَة ، وآخر الكتابات النبطية كتابة أم الجمال وهى خربة كبيرة فى بادية الشام قريبة من بِصْرى أُسكِى شام ، وفى هذه الكتابة وهى كتابة قبر استعمل الخط النبطى المتأخر المماثل للخط الكوفى ، وفى ذلك الوقت كانت بلاد النبط إيالةً تابعة للدولة الرومانية وتسمى باللاطينية Provincia arabica

واللهجة المانيةّ هى لغة اتباع مان ومذهبه من الصابئة وهو رجل اسمه مان ودينه نصفه نصرانى ونصفه وثنى ، وأهل هذا المذهب فارقوا اليهودية والنصرانية ولهجتهم ليست عربية وانما هى آرامية خالصة

وأما اللغة السريانية فهى لغة مدينة رُها وتسمى الآن أورْفا واسمها بالسريانية أورْها وتسمى عند اليونان والرومان Edessa أذسا ، وهى فى القسم الشمالى من الجزيرة بين النهرين دِجْلة والفرات ، وكانت فى الرها دولة مستقلة وملوكها أصلهم من العرب ويعرف ذلك من أسمائهم مَعْن وأَبْجر ، وكان قد دخلها طوائف من العرب ولكن لغتهم بادت وقبلوا اللهْجة الآرامية لقلتهم ، ودخلت النصرانية فيها فى القرن الثانى بعد الميلاد وتغير اسم آرام وآراميين وكرهه

اليهود والنصارى وصاروا يلقبون الوثنيين بهذا الاسم وسموا أنفسهم سُرياناً ، وقد أخذ هذا الأسم من اليونان وسموا لغتهم سريانية ، ودخل فى هذه اللغة كثير من اليونانية ، وتغير ترتيب الكلمات والجمل بحسب قواعد اللغة اليونانية مراراً عديدة ، وكتبت بهذه اللغة كتب عديدة من القرن الثالث الى القرن السابع بعد الميلاد وأكثرها كتب دينية ، ثم تفرقت لغة الكتابة من اللغة العامة ، فاحتاج السريان الى علم النحو والى الشكل لكي يتمكنوا من قراءة الكتاب المقدس فى الصلاة دون غلط ، وانقسمت آراؤهم الى قسمين نَسطُورى وهو مذهب الشرقيين منهم التابعين للفرس ، ويعقوبى وهو مذهب الغربيين التابعين للرومان ، ووضع السريان المعاجم بلغتهم واللغة العربية . وقد نقل السريان كثيراً من علوم اليونان وفلسفتهم الى لغتهم ، وظهر منهم كثير من العلماء والحكماء الى زمن النهضة العربية الاسلامية فى دولة بنى العباس ، فكانوا رسل تلك النهضة وأهم عواملها ، ولمعرفتهم باللغة اليونانية أخذوا ينقلون علم يونان وحكمتها الى العربية تحت كنف خلفاء الاسلام ، وأخذت اللغة العربية تتغلب على جميع اللهجات الآرامية حتى حلت محلها ، وبادت تلك اللغات جميعها ولم يبق للسريانية استعمال الا فى الطقوس الدينية ، ونبغ من علماء السريان كثيرون فى اللغات الثلاثة السريانية والاغريقية والعربية فنقلوا الكتب وألفوا المعاجم ، فمن هؤلاء المترجمين والنقلة اصطفن القديم ، نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة ، والبطريق وقد نقل للمنصور ، وابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق ، والحجاج بن مطر وهو الذى نقل المجسطى وأقليدس فى أيام المأمون ، وثاوفيلوس بن توما ناقل الالياذة والاوذيسة الى السريانية وهو من القرن الثانى من الهجرة والثامن للميلاد ، وأيوب الرُّهاوى ، وابن شهدى الكرخى ناقل كتاب الأجنة لبقراط ، وأبو عمرو يوحنا بن يوسف ناقل كتاب أفلاطون فى آداب الصبيان ، وقُسْطا بن لوقا البعلبكي وله معرفة تامة باللسان اليونانى والسريانى والعربى وله نقول كثيرة وأصلح نُقُولاً كثيرة ، وحنين بن اسحاق العبادى النسطورى من القرن الثالث للهجرة وقد ألف معجماً فى اللغتين السريانية والعربية وهو مفقود ، ويشوع بار على ، وبار بهلول

ولهما معجمان فى اللغتين هما من أشهر معاجم هاته اللغات عند السريان ، ويحيى بن عدى ، ثم بارعبرايا وهو أبو الفرج بن العبرى ، وكان يهوديا ثم تنصَّر وصار أسقفاً وهو من القرن السادس للهجرة والثالث عشر للميلاد وله مصنفات ونقول بين تاريخية وفلسفية وطبيــة ورياضية وفلكية ، وينتهى تاريخ الادب السريانى ببارعبرايا

١٣ — باب فى السبب الداعى الى نقل فلسفة اليونان وعلومها الى اللغة السريانية قبل النهضــة العربية

كانت يونان أمة عظيمة القدر فى الأُمم ، ظاهرة الذكر فى الآفاق ، فخمة الملوك عند جميع الأُقاليم ، وكانت الفلسفة زاهية زاهرة فى بلاد اليونان القديمة ، وفلاسفتهم من أرفع الناس طبقة ، وأجل أهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية والمعارف الطبيعية والالهية والسياسات المنزلية والمدنية (١) ، وكان فلاسفة اليونان فرقا كثيرة اشتقت اسماءها اما من اسم الرجل المعلم للفلسفة ، أو من اسم البلد الذى كان مبدأ ذلك العلم ، أو من اسم الموضع الذى كان يعلم فيه ، أو من اسم التدبير الذى كان يدبر فيــه ، أو من اسم الآراء التى كان يراها أهلها فى الغاية التى يقصد اليها فى تعلم الفلسفة ، أو من الافعال التى كانت تظهر عليه فى تعليم الفلسفة ، فنبتت من ذلك شيع أو فرق فى يونان ومدنها الاثنتى عشرة مدينة (على الساحل الغربى للاناضول من فوقي (Phocée) الى ملاطية (Milet) واليها ينسب ثاليس (Thales) وأنكسيمانس (Anaximène) وأنكساغوراس (Anaxagores) وأرخيلاوس (Archélaüs) وفرقة فوثاغورس (Pythagore) وفرقة أرسطيفوس (Aristippe) من أهــل قورانا (Cyréne) وشيعة سقراط وفرقة أصحاب المظلة أو أصحاب الرواق (Portique ، Stoicienne) أو أصحاب

---

(١) طبقات الامم

الاسطوان، وفرقة الكلابية (Cynique) وهم أصحاب كروسيفوس (Chrysippe) وأصحاب ديوجانس (Diogène) وفرقة المتشككة أو المانعة (Sceptique) وهم أصحاب فورن (Pyrrhon)، وفرقة اللذة (Le plaisir) وهم أصحاب أفيقورس وفرقة المشائين (Péripateticiens) وهم أصحاب أرسطو ، وأفلاطون صاحب الافلاطونية (Platonisme) ومنهم أيضاً الدهريون (Atomistiques) والطبيعيون (Naturalistes) والسوفسطائيون (Sophistique) والبرهانيون (Logique) والقياسيون (Dialectique) والالهيون (Métaphysique) الخ وقد اختصر بعض علماء الاسلام هذه الشيع فى ثلاث فرق فقالوا دهريون وطبيعيون والهيون

فأما الدهريون (Atomistique) فهم فرقة قدماء جحدوا الصانع المدبر للعالم وقالوا بزعمهم ان العالم لم يزل موجوداً على ما هو عليه بنفسه ، لم يكن له صانع صنعه ولا مختار اختاره ، وأن الحركة الدورية لا أول لها ، وان الانسان من نطفة، والنطفة من انسان، والنبت من حبة ، والحبة من نبت، فهم يقولون ببقاء المادة وعدم فنائها وانها سابحة فى الفضاء بتركيبها تتكون جميع الاشياء الموجودة فى العالم

والفرقة الثانية الطبيعيون ، وهم قوم بحثوا عن أفعال الطبائع وانفعالها وماصدر عن تفاعيلها من الموجودات حيوان ونبات ، وفحصوا عن خواص النبات وتشريح الحيوانات وتركيب الأعضاء وماينتج عن اجتماعها وتركيبها من القوى ورأوا قوام الموجودات من الأصول التى جعلوها مبادىء وهى الاركان الاربعة الماء والهواء والتراب والنار، ورأوا فساد كثيرها عند انتهائه الى غايته التى اقتضتها قوة استمداده من الطبائع المتفاعلة، وحكموا بان الانسان كسائر الموجودات ، وأنه يقيم بقدر استمداده ، ثم يتحلل ويفنى ويذهب كغيره من الموجودات الكائنة لكونه ،

والفرقة الثالثة الالهيون ، وهم المتأخرون من حكماء يونان الذين مالوا عن الفلسفة الطبيعية الى الفلسفة الالهية أو المدنية أو فلسفة ما بعد الطبيعة، واليها كان يذهب ارسطوطاليس وابن أخته تاوفرسطس وثامسطيوس وفلوطرخس وذيمقراطس

وقد أحدثوا من الآراء خلافاً على من تقدمهم ، وحاجة الناس وقتئذ الى الاجتماعات الانسانية ، وأولها الاجتماع المدنى الذى يكون فى المدينة الفاضلة (la république idéale) ومراتب أجزائها ورياستها ، ونزول أعضائها منزلة أعضاء الحيوان من الحيوان من جهة التعاون على تكميل السعادة للانسان ، كما يتعاون أعضاء الحيوان على تكميل حياة الحيوان ، وأصناف المدن المضادة للمدينة الفاضلة كالمدينة الجاهلة والمدينة الضالة والمدينة الفاسقة ومراتب ملوكهم ورياستهم ، ثم قول هؤلاء الفلاسفة فى الأوائل Des premières principes et des premières causes. التى بها وجود سائر الموجودات ، وهى الاول أكملها وجوداً اذ لم يكن وجوده لأجل غيره ، ووجود كل ما سواه لاجله والاشياء منه لا هو منها (Théologie naturelle ou théodicée.) اقتبست وجودها من وجوده ، وقولهم فى العقل الفعّال والنفس والصورة والهيولى وباقى الموجودات ، والاجسام بأجناسها (Psycologie rationnelle) ، وهى الحيوان والنبات والاجسام المعدنية ، Cosmologie ou philosophie de la nature. وكلامهم فى الاستقصات وهى العناصر

استمر الحال على هذا المنوال فى يونان وانتقلت منها بعض هذه المذاهب الى مصر ، الى أن أحاطت بيونان الكوارث وحاقت بها الاحن ، وأهملت الفلسفة ودرست كتبها وقتل أغسطس (Julius Cœsar Octavius Augustus) الملك الرومانى (ولد سنة ٦٣ ق م) قلا وفطرة الملكة آخر ملوك البطالمة اليونانيين واضافة مملكتهم الى مملكته ، فانقرض ملك اليونان من الارض ، وانتظمت مملكتهم مع مملكة الروم ، فصارتا مملكة واحدة رومية عظيمة الشأن ، وصارت مدينة رومية قاعدة هاتين المملكتين ، ثم نقل مجالس التعليم من أثينة الى الاسكندرية ورومية ، ولاثنتين وأربعين سنة خلت من حكمه كان مولد المسيح عليه السلام ببيت لحم من بلاد فلسطين.

وكان اليونان (١) والروم قديماً صابئة ، وكانت أول بلد أظهر فيه دين

(١) التنبيه والاشراف

النصرانية مدينة انطاكية ، والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وأم المدن ، وبها كرسى بطرس ويسمى شمعون وسمعان خليفة أيشوع الناصرى ، ثم دخل شمعون الضيا مدينة رومية وسقف بها وديَّرها سنين، ودانت له امرأة الملك فروطانيق ، وهى التى أخرجت الخشبة التى تظن النصارى أن المسيح صلب عليها ، وكانت فى أيدى اليهود فى أورشليم فأخذتها منهم وردتها على النصارى.

وفى حكم نيرون قتل بطرس وبولس برومية وصلبا منكسين وذلك بعد المسيح باثنتين وعشرين سنة

وما زال اليهود والنصارى فى اضطهاد وتقتيل وأذى وتشريد من ملوك الروم فى فلسطين وغيرها ثم ردّ للتماثيل التى جعلها الصابئون مُثُلاً للجواهر العلوية والاجسام السمائية التى هى وسائط بين العلة الاولى عندهم وبين الخليقة فى العبادات. الى أن دان قسطنطين بن قُسْطَنس (المولود سنة ٢٧٤ ب م) ، ويعرف بأمه هيلانى، بانى القسطنطينية بدين النصرانية ، ودعا الروم الى التشرع به ، فأطاعوه وتنصروا عن آخرهم ، ورفضوا دينهم من تعظيم الهياكل وعبادة الأوثان ، ولم يزل دين النصرانية يظهر ويقوى الى أن دخل فيه أكثر الامم المجاورة لمملكة الروم وجميع أهل مصر وأهل الحبشة والنوبة

وبعد أن بنى القسطنطينية وبالغ فى تحصينها واحكام بنائها جعلها دار مملكته وأضيفت الى اسمه ، ونزلها ملوك الروم بعده ، وما زالوا بها حتى افتتحها المسلمون.

فى جميع هذه الأطوار حصل تغيير كبير فى الفلسفة ، وتنوعت مذاهبها ، وانحرفت وجهتها عن الجهة التى كانت عليها فى عهد الالهين ، فان فلاسفة الاسكندرية وغيرها من البلاد المجاورة أرادوا مزج فلسفة أفلاطون ببعض المذاهب التصوفية التى نتجت من انتشار النصرانية ، وهذا الاتحاد بين الفلسفة والتصوف هو المعبر عنه بالفلسفة الافلاطونية الحديثة Neoplatonisme، ورأس هؤلاء الفلاسفة الذين عملوا على هذا الاتحاد أمونيُوس الاسكندرى Ammonius (المتوفى سنة ٢٤١ ب . م)، فانه أراد فى أول الامر التوفيق بين فلسفة أفلاطون

وفلسفة أرسطوطاليس، ثم أدخل على تلك الفلسفة بعض المذاهب الدينية الناتجة عن النصرانية، والغرض منها اتحاد النفس البشرية بالعالم العلوى وهو ما يسمى التوحيد، ثم تبعه فى ذلك كثير من الفلاسفة مثل أرجانس وفرفوريوس Porphyre صاحب كتاب ايساغوجى أى المدخل الى علم الفلسفة وأمليخوس Jamblique وفركلس Proclus وغيرهم، ثم تدرجوا من ذلك الى أن دخلوا فى تنازع شديد مع المسيحية فى الوجود ووحدة الوجود والعلة الاولى والنفس والكلمة واتحاد النفس البشرية بالعالم العلوى، (Union hypostatique) وزادت المجادلات التى هزت المسيحية فى طبيعة المسيح البشرية والالهية وجسد المسيح والكلمة logos ونشأ من هذا الخلاف فى الرأى عدة فرق انقسمت بسببها الكنيسة المسيحية على نفسها بعد أن كانت واحدة، وصارت كل فرقة تطعن فى الاخرى وترميها بالمروق من الدين والخروج عليه، وتنعقد لذلك المجامع الكنائسية المسماة السنوذسات (Synode) للحكم على أصحاب المذاهب وطردهم من الكنيسة وحرمهم

والسنوذس [١] هو اجتماع علماء النصارى من القسوس والأساقفة وغيرهم من أصحاب المراتب المذكورة لدعاء على شأن حادث وسبب شبه المباهلة، أو نظر فى شىء مهم من أمر الأديان، ولا ينعقد هذا الا فى أزمنة، واذا اتفق حفظ تاريخه، وربما استعمل تبركا وتعبداً،

والمذاهب والفرق التى نبتت فى النصرانية عديدة نذكر أشهرها بالايجاز وهى المرقيونية والديصانية والمانوية والأريوسية والمقدونية والنسطورية والملكائية واليعقوبية والمارونية الخ

أما المرقيونية فهم ينسبون الى مرقيون وكان ابنا لبعض الأساقفة ببلاد حران، ولد فى سينوب من أعمال فنطس، وقد أظهر مرقيون مقالته فى سنة ٨٠ ب م وهى القول بالأثنين أى بوجود أصلين قديمين متضادين أحدهما الخير والآخر الشر وثالث بينهما هو السعد، وقالوا الاثنان أحدهما النور والآخر

(١) البيرونى الآثار الباقية من القرون الخالية

الظلمة وأثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع ، وقالوا انما أثبتنا المعدل لأن النور الذى هو الله تعالى لايجوز عليه مخالطة الشيطان ، وأيضاً فان الضدين يتنافران طبعاً ويتمانعان ذاتاً ونفساً فكيف يكون اجتماعهما وامتزاجهما ، فلا بد من وجود معدل تكون منزلته دون النور وفوق الظلام فيقع المزاج منه وهذا المذهب قريب من المانويّة

وأما الديصانية فينسبون الى أبَرْدَيْصان لانه ولد على نهر يقال له دَيْصان فوق مدينة الرُّها ومعناه ابن النهر وهو من أصحاب الأثنين ، ظهر فى أواخر القرن الثانى وكان أسقفاً للرُّها ، وأصحاب ديصان أثبتوا أصلين نوراً وظلاماً ، فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً ، فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور ، وما كان من شر وخير ونتن وقبح فمن الظلام

وأما المانوية فينسبون الى مانى بن فاتِك من أصحاب الاثنين وقد ظهر فى الدولة الساسانية فى ملك سابور بن أرْدَشير ، ولد فى بابل فى قرية بردينو التابعة لدولة الفرس فى سنة ٢٣٩ أو ٢٤٠ م ، وأتى المدائن وتعلم فيها وهو تلميذ فاذن Phédon الذى هو تلميذ سقراط ، ومانى هذا اسمه مناحم بالعبرية وادعى أنه الفارقليط Paraclet الذى بشَّر به المسيح وأنه خاتم النبيين وقد ذكر ذلك فى كتبه ، كانجيله الذى وضعه والشابورْقان الذى ألفه لشابور بن أردشير وكنز الاحياء وسفر الجبابرة وسفر الأسفار ، وقد حدث بينه وبين سائر أصحاب الاثنين ممن تقدموه وهم المرقيونية والديصانية حجاج ونزاع ، وقد قتله بَهْرام بن هُرْمُز ، وكان مذهب مانى وسطاً بين المجوسية والنصرانية يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى ، ويقول ان العالم مصنوع من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، أنكر وجود شىء لامن أصل قديم وزعم أنهما لايزالا قوتين حاستين سميعتين ، بصيرتين وهما مع ذلك فى النفس والصورة والفعل والتدبير متضادتان

وأما الأريوسية فينسبون الى أريوس من الملاحدة، ولد سنة ٢٧٠ ب م وقُسَّ وهو متقدم فى السن ونشر مذهبه فى الاسكندرية ، وكان فى زمن قسطنطين بانى القسطنطينية وأول من تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب أريوس ، ولعشرين سنة خلت من حكمه كان السنوذس الأول بمدينة نيقية Nicée من بلاد الروم سنة ٣٢٥ م ، حضر هذا المجمع ٣١٨ أسقفاً ، فحرموا أريوس الاسكندرانى لمخالفته لهم فى الأقانيم وتخليدهم ما كانوا أجمعوا عليه من القول فى أقنومى الأب والابن ومن قولهم التوحيد المجرد ، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق وأنه كلمة الله تعالى التى بها خلق السموات والارض ، قال البيرونى ورائيهم فى المسيح أقرب الى ماعمله أهل الاسلام وأبعد مما يقول به كافة النصارى وفرق أخرى كثيرة

أما المقدونية فتنسب الى مقدونس بطريرك القسطنطينية ، من سنة ٣٤٢ الى سنة ٣٦٠ ، ومقدونس هذا يلقب بعدو الروح (Pneumatique) لمخالفة الجماعة فى صفة روح القدس وتخليدهم القول فى هذا الاقنوم ، فانعقد لذلك السنوذس الثانى ، اجتمع فيه ١٥٠ أسقفاً بقسطنطينية على يدى تذوس الثانى بن أرقاديوس فلعنوا مقدونس وأشياعه

وأما الملكائية (Melchites ou imperiailstes) فهم الروم ، وانما سموا بذلك لان ملك الروم على قولهم ، وليس بالروم سواهم ، وهم الذين يتبعون القوانين الكنائسية التى أصدرها السنوذس الرابع بمدينة خلقذونية سنة ٤٥١ ب م المجتمع بناء على أمر الامبراطور مرقيان Marcien اجتمع فيه ٣٦٠ أسقفاً ، وفى هذا المجتمع خالف الملكائية النسطورين وذيُسقورس وأطُوخُس Eutyches من زعماء اليعقوبية فى الأقانيم والجوهر ، فيقولون ان الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء أب وابن وروح قدس كلها لم تزل وأن عيسى عليه السلام اله تام كله ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الانسان منه هو الذى صلب وقتل ، وأن الآله منه

لم يلده شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الآله والانسان ، وأنهما معاً شيء واحد ابن الله

وأما النسطورية فهم أصحاب نَسْطور ، ولد فى سوريا وعينّه تدوس الصغير (Thiodose le jeune) بطريركا على القسطنطينية فى سنة ٤٢٨ ، وكان على كرسيها أربع سنين وهو المبتدع بدعة وجود طبيعتين وشخصين للمسيح ، فحصل خلاف شديد في الآراء بين رجال الكنيسة انبنى عليه أن خلعه السنوذس السادس المنعقد بمدينة افسيس Ephése سنة ٤٧١ وحضر هذا المجمع مئتا أسقف ، وكان المقدم فيه قورللس Cyrillus بطريرك اسكندرية وكاسطينوس Celestin بطريرك رومة (من سنة ٤٢٢ الى سنة ٤٣٢) ويوبنالس Juvenalis بطريرك ايليا (أورشليم) فلعنوا نسطورس وتبرأوا منه ونفوه ، فسار الى صعيد مصر ، فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية بصحراء ليبُوَى ، وأحرقت كتبه ، وأضافت الملكائية العِباد من النصارى وهم المشارقة الى نسطورس تقريعاً لهم بذلك فسموا نسطورية ، وكانت رياسة البطركة المشارقة فى ذلك الوقت لدار يشوع فى المدائن من ملك فارس ، والنسطورية تقول كما قالت الملكائية فى الثالوث ، وهو الكلام فى الأقانيم الثلاثة والجوهر الواحد وكيفية اتحاد اللاهوت القديم بالناسوت المحدث ، وأن المسيح طبعتين بشرية عند ولادته والهية حين نفخ فيه كلمة الله وروحه ، وقالوا ان مريم لم تلد الآله وانما ولدت الانسان ، وان الله تعالى لم يلد الانسان وانما ولد الآله

وقالوا ان الكلمة اتحدت بجسد المسيح عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكائية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس فى كوة أو على بللور ، أو كظهور النقش فى الخاتم ، وللنسطورية أراء أخرى نضرب صفحاً عن ذكرها حتى لا نخرج عما توخيناه من الايجاز

وأما اليعقوبية أو اليعاقبة فانهم ينسبون الى يعقوب البرذعانى أو البراذعى كان من أهل سَروج يعمل البراذع ، وهو تلميذ سَوَرِس البطريرك Séveres

واليعاقبة يقولون ان للمسيح طبيعة واحدة (Fusionistes ou Monophysites) وان البارى تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس ، الا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودماً فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر بجسده بل هو هو

ومن المذاهب أيضاً المارونية ينسبون الى مارون الراهب ، كانت نشأته بقرب حماه بقرية يقال لها قور ، وقسّ فى سنة ٤٠٥ م ومات سنة ٤٣٣ ب م ومذهبه موافق للملكائية واليعقوبية والنسطورية فى الثالوث ومخالف اياهم فيما يذهب اليه من أن المسيح جوهران اقنوم واحد ومشيئة واحدة ، وهذا القول متوسطاً بين قول النسطورية والملكائية . ومن المذاهب مذهب ابيالقة وهو المذهب الذى أحدثه بولس الشُمشاطى (Paul de Samosate) وهو من أول بطاركة انطاكية ، ومذهبه متوسط بين مذهب النصارى والمجوس

وقد ترتب على ظهور هذه المذاهب الدينية الفلسفية مشاحنات ومجادلات دينية ونزاع بين رجال الكنيسة محوره جسد المسيح وطبيعته البشرية والالهية ، ونفس المسيح ، والكلمة ، فتفرقت المدارس وانقسمت الكنيسة واختلفت الشيعتان النسطورية واليعقوبية اختلافاً ظاهراً فى اللغة والكتابة ، فأسست مدرسة فى نصيبين فى جو كله سريانى الجنس واللغة وتحت نفوذ الفرس ، وفى انطاكية وفى الرها مدارس أخرى فى منطقة النفوذ اليونانى المباشر ، وقد عظم اضطهاد الكنيسة الرسمية فى المملكة البوزنطية للكنيسة السريانية الوطنية والسريانيين عامة ، وكان معظمه واقعاً على السريان الغربيين الذين هم تحت سلطة الروم رأساً فى المملكة البوزنطية ، وهؤلاء قد اتخذوا مذهب اليعقوبية فى مصر وفى غربى سوريا ، فتحملوا الضيق ولبثوا فى بلادهم ولم يهاجروا منها رغماً عن كونهم كانوا مكروهين فارسلوا رسلهم خارج المملكة ، ونبذوا لغة مضطهديهم واستعملوا لغتهم القبطية أو السريانية على الخصوص ، وأما السريان الذين هم فى سلطة الفرس فكانوا بعيدين عن الاضطهاد وهاجر اليهم من هاجر من الموجودين فى سلطة المملكة البوزنطية ، وحلوا فى نصيبين فى عهد فيروزشاه

فاكرم مثواهم وأخلصوا له الوفاء وانتسبوا الى النسطورية وصارت نصيبين مركزاً لنشاطهم ، وبذلك أخذت المسيحية شكلا شرقياً بحتاً ، وانتشر المبشرون النسطوريون يبثون تعاليمهم فى كل مكان حتى كانت أكثر الامم البعيدة عن مملكة الروم يتعلمون المسيحية بالشكل النسطورى ، ولم يكن همّ السريان حينئذ تعلم المسيحية فقط بل كانت همتهم متجهة كذلك الى شرح المسائل الخاصة بالمسيح عليه السلام وشخصه والاقانيم ، فكان لا يمكنهم ذلك طبعاً بغير مساعدة العلم النظرى والفلسفة اليونانية فلسفة أرسطو وأفلاطون، ولا سيما منطق أرسطو الذى هو الأداة الثمينة للجدل والمناظرة ، فتحتم على كل مبشر منهم أن يكون ذا علم والمام بفلسفة يونان ، وغرضهم الاكبر ايجاد لاهوت وطنى سريانى مستقل عن اللغة الأغريقية ،فبدأوا أولا بنقل الكتب الدينية الكنائسية الى السريانى ،لان جميع الطقوس الدينية الكنائسية كانت تؤدى فى الصلاة وغيرها باللغة اليونانية ولما كانوا يريدون محاربة الكنيسة اليونانية والابتعاد عنها بكل وسيلة فقد نقلوا الى لغتهم السريانية كتب العلم اليونانى ككتب أرسطو وشروحها وغيرها من كتب الفلسفة والرياضيات ، فانتقلت بهذا العمل العظيم علوم يونان الى آسيا ، وكان هذا أول نقل للعلم من الغرب الى الشرق ، وكان ذلك فى الزمن السابق مباشرة على ظهور الاسلام وهؤلاء السريان أنفسهم الذين نقلوا علم يونان الى السريانية كانوا هم البادئين كذلك بنقل هذه العلوم الى العربية اما من السريانية الى العربية أو من اليونانية رأساً الى العربية ، وذلك فى بدء النهضة العربية ، ولم يقتصر نقل هؤلاء الفلاسفة على الفلسفة واللاهوت بل تعداهما الى الطب والكيميا والفلك ، وكانت علوم الطب والعلوم الطبيعية قد نقلت الى مدرسة الاسكندرية التى كان من أكبر أساتذتها يحيى النحوى وفولس الأجانيطى Paul d'Egine وآهرون القس ، واختير من كتب الطب للتدريس الستة عشر كتابا لجالينوس ، وكلها معلَّقة بعضها ببعض وهى التى شرط جالينوس على طالب الطب حفظها والاحتفال بها ، ولا

نذكرها هنا خشية التطويل ، وكانت مؤلفات هؤلاء العلماء وغيرهم اما باليونانية أو بالسريانية ثم نقلت الى العربية فى صدر الملة الاسلامية وبدء النهضة ، وكان اليعقوبيون فى مصر قد نقلوا القليل منها الى القبطية لان حاجتهم الى مناظرة خصومهم كانت أقل منها عند النسطورية فى سوريا

مدارس التعليم عند السريان

يعلم مما تقدم أن مدارس الرها ونصيبين وانطاكية كانت من اكبر عوامل النهضة عند السريان ، ومدرسة نصيبين أقدم مدرسة فارسية وأشهر من جميع المدارس العلمية فى سوريا نشأت من مدرسة الرها وحلت محلها نوعاًما وامتدت شهرتها الى أفريقية وايطاليا حتى لقبها أهل سوريا أم العلوم

ففى هاته المدارس تخرج كثير من علماء السريان وفلاسفتهم وفيها ألفت الكتب وبعضها لا يزال محفوظاً الى الآن ، وترجمت منابع العلم اليونانى من دين وفلسفة الى اللغة السريانية ، ونزيد عليها مدرسة سلوقية التى أصلحها مارأبا بعد وفاة الجاثليق بولس سنة ٥٣٦ وكان مارأبا يعلم فيها بنفسه فألف وترجم كتباً عديدة من اليونانية الى السريانية ، منها ترجمة كاملة للعهدين القديم والجديد أتمها فى الرها مع معلمه توما ، وشروحٌ لسفر التكوين والمزامير ورسائل الرسول ماربطرس وميامر وتكريسات كَنَسية وغيرها ، ثم مدرسة جُنْدَيْسابو والسبب فى تأسيسها هو أن سابور بن أردشير التابع لمذهب ذُرادَشْت كان قد هادن أُوَلاريانوس Valérianus قيصر ملك الروم بعد تغلبه على بلد سوريا وافتتاحه انطاكية ، فطلب منه أن يزوجه ابنته على شىء تراضياً به ففعل قيصر ذلك . وقَبْل أن تنتقل اليه بنى لها مدينة على شكل قسطنطينية وهى مدينة جُنْدَيْسابور وقيلت حكايات كثيرة فى سبب هذه التسمية . ولما نقل اليها ابنة قيصر انتقل معها كلٌّ صنف من أهل بلدها ممن هى محتاجة اليه ، فانتقل معها أطباء أفاضل ولما أقاموا بها بدأوا يعلمون أحداثاً من أهلها . ولم يزل أمرهم يقوى فى العلم ويتزايدون فيه ويرقبون العلاج على مقتضى أمزجة بلدانهم حتى برَّزوا فى الفضائل . وجماعةٌ

يفضلون علاجهم وطريقهم على اليونانيين والهند . لانهم أخذوا فضائل كل فرقة فزادوا عليها بما استخرجوه من قِبَل نفوسهم . فرتَّبوا لهم دساتير وقوانين وكتباً جمعوا فيها كل حسنة . ونبغ من مدرسة جنديسابور هذه عدا الحارث بن كَلَدَه وابنه النضر بن الحارث بن كلده من أطباء العرب أكابر علماء السريان الذين كان لهم القِدْح المعلى فى النقل والترجمة والتصنيف الى اللغة السريانية ، وكانوا فى نفس الوقت واسطة النقل الى العربية . وكذلك حرّان كانت من مدن العلم الأثيلة المجد لعلماء السريان ومنبعاً غزيراً لفلاسفتهم ، كانت على طريق الموصل والشام بينها وبين الرُّها يوم وبين الرَّقة يومان ، وكانت قصبة ديار مُضَر واليها ينسب جماعة كبيرة من أعلام السريان الذين كانت لهم اليد الطولى فى النقل والتصنيف بالسريانية . ولا يسعنا أن نعيد هنا ذكر أسماء المترجمين الذين خدموا العلم ونقلوه من الغرب الى الشرق من حكماء السريان الذين استمروا فى عملهم هذا الى ما بعد ظهور الدول الاسلامية التى التحقوا بخدمتها . وكان آخر العهد بالوضع فى السريانية ابو الفرج بن العبرى (بارعبرايا) المتوفى سنة ١٢٨٦ م وبه انتهت دولة العلم فى السريان الا ما ندر من علمائهم القليلين المتفرقين فى العصور بعد ذلك الى الآن

١٤ — باب فى اللغات السامية الجنوبية

وأما اللغات السامية الجنوبية فتنقسم الى قسمين عظيمين العربى والحبشى

أما العربى فينقسم الى قسمين شمالى وجنوبى فالشمالى يشمل خمس لهجات وهي — ١ اللحيانية — ٢ الثمودية — ٣ الصَفَوية — ٤ العربية النبطية — ٥ العربية الفصحى

وأما العربى الجنوبى فيشمل — ١ المَعِينيَّة — ٢ السبأية — ٣ القَتَبانية ٤ الحضْرَميَّة — ٥ اللهجات الجديدة وهى المَهْرية لغة مَهْرَة والشَّحْرية لغة الشِّحْرِ والسُّقُطْرية لغة جزيرة سُقُطْرى

فأما اللهجات اللّحْيانية والثمودية والصفوية فيتناسب بعضها مع بعض، وأما العربى النبطى فهو كالعربى الفصيح ، وقد وجدت بعض الكتابات اللحيانية فى مدينة العُلاَ فى شمال الحجاز قريبة من الحِجْر وفيها أسماء ملوك لحْيَان ، ومملكة لحيان كانت فى القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد أى قبل استيلاء النبط عليها ،

أما الثمودية فسميت بذلك لان قبائل ثمود كانت تسكن تلك الجهات ووجد شىء من كتاباتها فى مدائن صالح ، وصالح هو النبى المرسل الى ثمود وتاريخها فى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد

أما الصفوية فسميت بذلك لوجود الكتابات المكتوبة بها فى الحَرَّة مابين جبل الدروز وتل الصَّفَاة ، فاعتاد العلماء المستشرقون تسميتها بذلك (١) ولو سميت بالحرية لالتبس الاسم لوجود حَرَّات كثيرة فى جزيرة العرب وفى الشام ، وأكثر كتاباتها من القرون الاول والثانى والثالث بعد الميلاد. واللهجة المستعملة فى هذه الكتابات هى لهجة عربية مع بعض الاختلاف فى أسماء الاشارة والأسماء الموصولة وأداة التعريف ، وبعض كلماتها تناسب العبرية والأرامية أكثر مما تناسب العربية لمجاورة أهل الصفاة للساميين الشماليين

وقد باد الخط الصفوى قبل الاسلام واستعمل مكانه الخط النبطى المتأخر القريب من الخط الكوفى ، والخط النبطى هذا هو خط الحضر كما كان الصفوى خط العرب البدو ، والكتابات العربية الفصيحة التى كتبت بحروف نبطية متأخرة أو حروف تشبه الخط الكوفى هى كتابات النمارة المشهور وزَبَد وهى خَرِبَةٌ موجودة بين قِنَّسْرِين ونهر الفرات ويوصل اليهما من حلب فى إثنتى عشرة ساعة، وكتابة حَرَّان، وأم الجِمال ، وأشهرها كتابة امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كتبت سنة ٣٢٨ بعد الميلاد ، والنمارة هذه قصر صغير من آثار الدولة الرومانية موجود فى حرَّة الشام شرق جبل الدروز ويختلط بها بعض الكلمات الآرامية

(١) أنو ليتمان

واللغة النبطية تأتى بعد اللهجة العربية الفصيحة ويأتى بعدها الآرامية

فلما ظهر الاسلام أخذت اللغة العربية الفصحى وهى لغة أواسط بلاد العرب (الحجاز ونجد) أى قبائل قريش وما جاورها فى التفوق والحلول محل باقى اللغات، وعمّ الاقطار لغة العرب وكتابتهم متماشيتين مع الدين أينما سارَ، وصارت العربية لغة نصف المعمور من الدنيا ، وهى أى اللغة الفصحى لغة الشعر والقرآن لغة الأحاديث والسنة ، لغة الفقه والشرع ، لغة التأليف والتصنيف فى القرون الاولى للهجرة ، يتكلم ويكتب بها بداهة حتى كثر اختلاط العرب بالأعاجم فابتدأ الفساد فى ملكة اللسان و التحريف يفشيان فى اللغة وهال القائمين هذا الأمر خوفا على القرآن والدين فوضعوا علم النحو ، وأخذ العلماء يتبارون فى وضع أصول هذا الفن وقواعده والاسترشاد بفصحاء الاعراب ووفود البادية الذين لم يخالطوا غيرهم من الأمم فى صحة الكلام والنطق به حتى تم لهم ضبط هذه اللغة وبنائها على أساس متين، فلم تخدم لغة أخرى بمثل ماخدمت به اللغة العربية ، وسيأتى شرح ذلك فى فصل خاص

١٥ — باب فى اللغة العامية أو الدارجة

لما فسدت ملكة اللغة ووقع التحريف فى الكلام ، وباد الإعراب ودخل فى اللغة كثير من الألفاظ الأعجمية ، نشأ من ذلك مايسمى باللغة العامية أى الدارجة ، وتعددت هذة اللغة بتعدد البلدان والأقاليم وقربت أو بعدت عن اللهجة الفصحى بقربها أو بعدها عن جزيرة العرب أو بقلة أو كثرة اختلاطها بالامم الأخرى ، فاليمن مثلا وبعض أقاليم جزيرة العرب لاتزال لهجتهم أقرب الى الفصحى من لهجة مصر أو الشام اليها ، ولهجة بعض عرب السودان قريبة كذلك من الفصحى ، حتى أن البلد أو المصر الواحد قد تختلف لهجاته باختلاف القبائل التى نزلت به وعمت فيه لهجتها كالبلاد المصرية مثلا فلهجة صعيدها غير لهجة سفلى بلادها ، ولهجة شرق مصر السفلى غير لهة غربها ، وهذا الاختلاف هو أثر من آثار القبائل المختلفة التى حلت بلاد مصر نازحة اليها من بلاد العرب

وبالجملة فانهم يقسمون اللهجات العربية العصرية الى — ١ لهجة جزيرة العرب — ٢ لهجة العراق والجزيرة — ٣ لهجة بلادالشام — ٤ لهجة مصر — ٥ لهجة بلاد المغرب — ٦ لهجة جزيرة مالطة وقددخلها كثير من لغات أورروفة لاسيما الطليانية

واللغة العربية والخط العربى معروفان عند جميع الأمم التى تدين بالاسلام وليست اللغة العربية هى لغتها الأصلية ، وفيها العلماء والفقهاء العارفين بها تمام المعرفة ، وكذلك تكتب بالخط العربى لغات تلك الأمم التى دانت للاسلام وهى أمم الفرس والترك والأفغان وبعض الهند والملايو والصين (التركستان الصينى) وروسيا الشرقية ، واللغة العربية عامة الآن فى آسيا الغربية ، وفى شمال افريقيا ووسطها من الشرق الى الغرب

١٦ — باب فى القول فى العربى الجنوبي

اما العربى الجنوبى وهو لغة اليمن فمن لهجاته — ١ المعينية — ٢ السبأية ٣ القتبانية — ٤ الحضرمية — ، ثم اللهجات الجديدة وهى لغة مَهْرَة والشحْر وهذه اللهجات هى لغة حِمْيَرَ وسبأ لسان القحطانيين وقبائلهم عاد وثمودَ وطَسْم وجديس والعمالقة ، واليمن سميت كذلك لوقوعها الى جنوب الكعبة ، كما سميت الشأم شأما لوقوعها شماليها ، اما اشتقاق اسم اليَمَن من اليُمْن وهو السعادة فمشكوك فيه وهو ماظنه أهل أورروفة الأقدمين فسموها بلاد العرب السعيدة (Arabia felixia) وهى كثيرة الزرع والأشجار والثمار والعُطُور والأفاويه ، وكانت غاية فى العمران ، عامرة بالمدن والحواضر ، ومن ممالكها المعروفة مملكة مَعِين وقصبتها مِعِين ، وسبأ وقصبتها مأرب ، وممالك قتبان وحضرموت ، وأقدمها مملكة معين وبدؤها فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد، ويليها مملكة سبأ، ثم انتقل الملك منهما الى حمير وقصبتها ظَفَار ، وكتابات أهل اليمن يطلق عليها لفظ حِمْيَرِيَّة وان اختلفت المعينية والسبأية عنها قليلا، وفى قراءتها صعوبات كبرى ، والحميرى يسمى المُسَنَّد وهو أحدث الخطوط اليمنية ،

واختلف فى اشتقاقه ، فبعضهم جعله من الفينيقى مباشرة أو بواسطة الاحرف اليونانية ، وبعضهم جعله من المسمارى وهو بعيد ،

وأما الكتابات القتبانية والحضرمية فهى قليلة جداً وهى أجد الكتابات، واستمرت هذه الكتابات من أقدم تاريخها الى القرن السادس بعد المسيح لم يطرأ عليها تغيير ، وذلك لكونها لغة مكتوبة ثابتة أكثر منها لهجة عامية ، ولما دانت تلك البلاد للاسلام تغلبت لغة العرب الشمالية على اللهجات الجنوبية وزحزحتها عن مكانها ، غير أنه لا تزال فى ألسنتهم عُجْمَة ولُكْنَة ، والف علماء الاسلام فى أخبار ملوك حمير وآثارهم كأبى محمد الهَمْدَانى المعروف بابن ذى الدُمَيْنَة أحد أشراف العرب وهو أبو الحسين بن أحمد بن يعقوب صاحب كتاب صفة جزيرة العرب وكتابه المعروف بالاكليل المؤلف فى أنساب حمير وأيام ملوكها ، ونشوان ابن سعيد الحميرى صاحب القصيدة الحميرية المعروفة

ومن اللغة الحميرية تولدت بعض اللغات فى مَهْرَة والشِّحْر وَسُقُطْرى فى جنوب الجزيرة وهى القريبة من ساحل البحر ، ولا يزال بعض اللهجات العربية الجنوبية موجوداً الى يومنا ، وهذه اللهجات ليست متولدة رأساً من اللغة المكتوبة ، ولعزلتها ابتعدت كثيراً عن الشكل السامى القديم أكثر من ابتعاد اللهجات العربية الأخرى عن اللهجات الآرامية العامية

واللغة الحبشية هى فرع عن لغة العرب الجنوبية ، فان العرب نزلوا من جزيرتهم من بلاد اليمن الى سواحل أفريقية المقابلة لهم والقريبة من جزيرتهم واستوطنوها واختلطوا بأهلها القدماء الحاميين ، ولا يعرف بالدقة الزمن الذى نزلوا فيه تلك البلاد ، ولكنه على كل حال كان قبل المسيح ، والظاهر أن نزوحهم اليها كان تدريجيا ، وسميت تلك الأمة الجديدة الأمة الحبشية نسبة الى قبيلة من قبائل حضرموت تسمى حَبَشَة

وسكان بلاد الحبشة ثلاثة اجناس — ١ الجنس الافريقى — ٢ الجنس الحامى — ٣ الجنس السامى ، ولغات هذه الاجناس الثلاثة مختلفة ، وهى

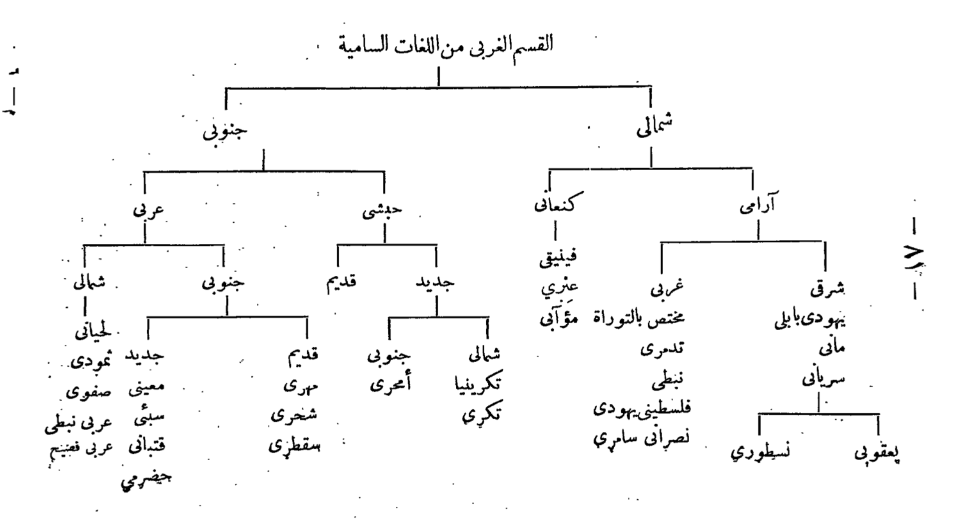
تناسب لغة أهل مصر القديمة ، ولغات قبائل البربر فى شمال أفريقية ، واللغات الحامية من بلاد الحبشة التى تسمى الكوشية، وكلها تتناسب مع اللغات السامية ولكن لا يعلم بالدقة الوطن الاصلى لكل منها ، وانما بمواصلة البحث والتنقيب والتحقيق عرف أن مجيء الساميين الى افريقية كان من جزيرة العرب وفى ثلاث دفعات ، وطريقهم اليها فى كل مرة كان من طريقين شمالية عن طريق برزخ السويس ومصر، وجنوبية عن طريق باب المندب ، وكانت الدفعة الأولى فى زمن قديم جداً لا يعرف مبدؤه ، فاختلطوا باهل البلاد الأصليين وامتزجوا بهم فتولدت منهم أمم هى الأمة المصرية القديمة فى مصر ، وقبائل البربر فى المغرب ، والحبش وهم القبائل الحامية أو الكوشية فى بلاد الحبشة ، والمرة الثانية التى نزحوا فيها من بلاد العرب الى أفريقية كانت فى القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا أو فى عصور أخرى بين القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد ، وقد أتى العرب بالجمال معهم الى أفريقية ولم يكن الجمل معروفا فيها من قبل كما جاؤا قبل ذلك بالخيل ، وانتقل الخط المسند مع العرب من اليمن وحضرموت الى الحبشة ، وكذلك اللهجات العربية الجنوبية التى منها أشتقت اللغة الحبشية ، والمرة الثالثة التى رحل فيها العرب من جزيرتهم الى الحبشة كان فى مبدأ الاسلام فنزلوا فى سواحلها وتوغلوا فيها ودخل فريق منهم الى بلاد السودان ومنذ ذلك الحين صارت اللغة العربية لغة السودان

ولغة الحبش تسمى عندهم جعز وتسمى فى بعض الاحيان أثيوفية وهو اسم يونانى أطلقه اليونان على الحبش الذين اتخذوه لأنفسهم ، ولم تعرف اللغة الحبشية لدى أهل أوروفة الا بعد التاريخ المسيحى

ومن الكتابات الحبشية وأقدمها كتابة عيزانا أحد ملوك الحبشة وتاريخها خمسون وثلاثمئة بعد الميلاد وهى خلو من حروف العلة وتصحبها كتابة سبأية ، وهذه الكتابات هى اما بالخط المسند الحميرى ولغتها سبأية أو حبشية ، أو هى كتابات حبشية بالمسند الحبشى غير المُشكَّل ، أو بالحبشية والخط المسند

الحبشى المُشَكَّل ، وأحدث من هذه كتابة الملك ألاعميداً وحرفها سبئى ، وفى هذه الكتابة نُرى خاصِّية من خصائص الحبشية وهى الدلالة على حروف العلة المعدومة من الأَبجدية السامية بتغيرات فى نفس الحرف السا كن . هذه هى أقدم آثار اللغة الحبشية وأكثرها وَثنى وبعضها وهو القليل نصرانى ، وترجمت التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب الكنائسية الى اللغة الحبشية ، وتمتاز لغة هذه المؤلفات عن اللهجات السامية الأُخرى بنحو هو أكثر اطلاقا وانشاء أسلس مما يمكن نسبته الى مؤثر أجنبى ، ولم يطل عمر لغة جِعِز فى أثناء الاضطرابات التى سقطت بسببها مملكة أكسوم القديمة فى القرن الثانى عشر وفقدت أمة جعز خطرها السياسى ، ومنذ سنة ١٢٧٠ ميلادية جمعت الدولة السليمانية شمل المملكة واحتفظت بالملك الى سنة ١٨٥٥ وهى من بلاد الشوا من بلاد الحبش الجنوبية ومن الأمة الأَمْحَرِيَّة ، ولغة أَمْحَرة تناسب لغة جعز وان اختلفت عنها ، وفى عهد هذه الدولة أخذت آداب اللغة الأَثيوفية فى الاضمحلال ولم يظهر لها أثر من نفسها وانما كانت فى ذلك تابعة للآداب العربية المسيحية التى ظهرت فى مصر ، وكان للغة العربية تأثير كبير فى تركيب الجمل الحبشية لم يكن للغة اليونانية قبلها. واشتقت من لغة جعز فى قلب بلاد الحبشة وعلى قرب من أكسوم الحاضرة القديمة لهجة جديدة هى لهجة تِكْرِنْيَا نسبة الى اقليم تكرينيا ، ولكن تغلبت عليها اللغة الامحرية كثيراً ، وكان أكثر الذين يتكلمون بها من المسلمين ولذلك اكتسبت لنفسها شكلا خاصاً لعدم اختلاط أهلها بالمسيحيين الذين يتكلمون الأمحرية ، ولما كان هؤلاء المسلمون من الجنس الحامى كان للغات الحامية أثر كبير فى لغتهم

وبقيت اللغة القديمة محفوظة ويتكلم بها فى الشمال فى المستعمرة الايطالية المسماة أروثرة وفى جزائر دَهْلَك ويطلق على هذه اللهجة لغة تِكْرِى وهو اسم البلاد نفسها التى يتكلم بها فيها ، وفى بلاد غوراغى فى جنوب الشوا ولا سيما فى حَرَر تكونت من اللغة الامحرية لهجات ابتعدت عنها كثيراً حتى صار الامحريون لا يفهمونها ، وذلك لعدم اختلاطها باللغات الحامية التى امتزجت بها لغة أمحرة ولتأثير اللغة العربية فيها بالنسبة للاسلام الذى هو دين أهلها الذين يتكلمون بها فى بلاد حَرَر


القسم الغربي من اللغات السامية
شمالي
جنوبي
آرامي
كنعاني
حبشي
عربي
شرقي
يهودي بابلي
ماني
سرياني
يعقوبي
نسطوري
غربي
مختص بالتوراة
تدمري
نبطي
فلسطيني يهودي
نصراني سامري
فينيقي
عبري
مؤابي
جديد
قديم
شمالي
تكرينيا
تكري
جنوبي
أمحري
جنوبي
قديم
مهري
شحري
سقطري
جديد
معيني
سبئي
قتباني
حضرمي
شمالي
لحياني
ثمودي
صفوي
عربي نبطي
عربي فصيح

١٧ — باب فى القول فى تدوين اللغة واستنباط النحو والصرف

قال عبد الرحمن بن خلدون : ان اللغة فى المتعارف هى عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لسانى ، فلابد أن تصير ملكة متقررة فى العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو فى كل أمة بحسب اصطلاحاتها، وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعانى مثل الحركات التى تُعَيِّن الفاعل من المفعول من المجرور أعنى المضاف ، ومثل الحروف التى تفضى بالأفعال الى الذوات من غير تكلف الفاظ أخرى ، وليس يوجد ذلك الا فى لغة العرب ، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لابدَّ له من ألفاظ تخصه بالدلالة، ولذلك نجد كلام العجم فى مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «أوتيت جوامع الكلم واختصرلى فى الكلام اختصارا» فصار للحروف فى لغتهم والحركات والهيئات أى الأوضاع اعتبار فى الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها، انما هى ملكة فى ألسنتهم يأخذها الآخر عن الاول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا ، فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذى كان فى أيدى الأمم والدول ، وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالفات التى للمتعربين والسمع أبو الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع ، وخشى أهل العلوم منها أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع ، ثم رأوا تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملا وأمثال ذلك ، وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو ، قال ابن جنى فى الخصائص : والنحو هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع

والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة فينطق بها ، وان لم يكن منهم أو ان شذ بعضهم عنها رُدَّ اليها . وهو في الأصل مصدر شائع أى نحوت نحواً كقولك قصدت قصداً ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم

فن النحو

وقد اختلفوا فى أول من وضع النحو وفى سبب تسميته بهذا الاسم ، فقال قوم انه على بن أبى طالب ، وقال آخرون ان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلى ، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان ابن جندل ، وكان رجل أهل البصرة عَلَوِيَّ الرأى مات سنة ٦٩ ه ، قيل ان أبا الأسود الدؤلى دخل الى ابنته بالبصرة فقالت له « ياأبتِ ما أشدُّ الحرّ » ، رفعت أشد فظنها تسأله وتستفهم منه أيُّ أزمان الحر أشدُّ ، فقال لها شهرُ ناجرٍ، فقالت « ياأبت أنا أخبرتُك ولم أسألك » ، وقيل ان أبا الأسود قالت له ابنته « ما أحسنُ السماء » فقال لها نجومُها ، فقالت انى لم أرد هذا وانما تعجبت من حسنها ، فقال لها اذن فقولى « ما أحسنَ السماء » فحينئذ وضع النحو . قال أبو الفرج الاصفهانى أولُ من وضع العربية أبو الأسود ، جاء الى زياد بن أبيه بالبصرة فقال « أصلح الله الامير انى أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وتغيرت السنتهم أفتأذن لى أن أضع علما يُقيمون به كلامَهم ، قال لا ، ثم جاء زياداً رجلٌ فقال «مات أبانا وخلف بنون ، فقال زيادٌ مات أبانا وخلف بنون رُدُّوا الىّ أبا الاسود ، فرد اليه فقال ضع للناس ما نهيتك عنه ، فوضع له النحو ، وأول باب وضع منه باب التعجب وكان ذلك بالبصرة ، وقال السيرافى ان السبب فى وضع علم النحو أنه مرَّ بابى الأسود سعد الفارسى وهو يقود فرسه . فقال له مالك ياسعد لا تركب فقال ان فرسى ضالع ، فضحك به بعض من حضره ، فقال أبو الأسود هؤلاء الموالى قد رغبوا فى الاسلام ودخلوا فيه فصاروا لنا أخوة فلو علمنا هم الكلام ، فوضع باب الفاعل والمفعول به ولم يزد عليه . وقال أبو عُبَيد مَعْمَر بن المثنى أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلى ثم ميمون الأقرن . ثم عَنْبَسة الفيل . ثم عبد الله بن اسحاق

وقال محمد بن سلاّم الجُمَحِي أول من أسس العربيـة وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود وانما فعل ذلك حين اضطرب كلام العرب . وقال ابن الأنبارى كتب معاوية الى زياد يطلب عبدالله ابنه . فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فَرَدَّه الى زياد وكتب اليه كتابا يلومه فيه ويقول أمِثل عبيد الله يضيع . فبعث زيادٌ الى أبى الأسود ، فقال له يا أبا الأسود إن هذه الحمراء يعنى الأعاجم قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب فلو وضَعْتَ شيئاً يُصلح به الناسُ كلامهم ويعرفون به كتاب الله ، فأبى ذلك أبو الاسود . فوجه زيادٌ رجلاً وقال له أقعد فى طريق أبى الاسود فاذا مرَّ بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مرَّ به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأُ « انَّ الله برىءٌ من المشركين ورسولِه » بكسر اللام ، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عزَّ وجهُ الله تعالى أن يبرأ من رسوله . ثم رجع من فوره الى زياد فقال قد أجبتك الى ما سألت ورأيت أن أبدأ باعراب القرآن فابعث الى ثلاثين رجلا ، فأحضرهم زيادٌ فاختار منهم أبو الأسود عشرة ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس . فقال خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد . فاذا فتحت شفَتَى فانقط واحدة فوق الحرف، واذا ضممتها فاجعل النقطة الى جانب الحرف ، فاذا كسرتها فاجعل النقطة من أسفل الحرف . فان أتبعتُ شيئاً من هذه الحركات غُنَّـةً فانقط نقطتين ، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك .

واما الذين ينسبون وضع العربية الى على بن أبى طالب فيقولون ان الروايات كلها تسند الى أبى الأسود ، وأبو الأسود يسند الى على . فقد روى عن أبى الأسود أنه سئل من أين لك هذا العلم يَعْنُون النحو ، فقال أخذت حدوده عن على بن أبى طالب ، وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى أخذ أبو الأسود الدؤلى النحو عن على بن أبى طالب . وروى أبو الأسود قال دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فوجدت فى يده رقعةً ، فقلت ما هذه ياأمير المؤمنين ، فقال انى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء يعنى الأعاجم فأردت أن أضع شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليه . ثم ألقى الىَّ الرقعة وفيها

مكتوب « الكلام كله إسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمَّى . والفعل ما أُنبِيء به ، والحرف ما أفادَ معنى ، وقال أُنحُ هذا النحو وأضف اليه ما وقع اليك ، واعلم يا أبا الاسود أن الاسماء ثلاثة ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر ، وأراد بذلك الاسم المبهم » . قال ثم وضعت بابَي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام الى أن وصلت الى باب إنَّ وأخواتها ما خلا لكن فلما عرضتها على عليّ عليه السلام أمرني بضم لكن اليها . وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه الى أن حصلت ما فيه الكفاية ، قال ما أحسن هذا النحو الذى نحوت فلذلك يسمى النحو وكان أبو الأسود ممن صحب أمير المؤمنين على بن أبى طالب وكان من المشهورين بصحبته ومحبته ومحبة أهل بيته

وأخذ عن أبي الاسود جماعةٌ (١) منهم يحيى بن يَعْمَر (المتوفى عام ١٢٩ هـ) ، وهو رجل من عَدْوان كان فى عداد بنى ليث وكان مأموناً عالما بما يأتى يُرْوَى عنه الفقه عن أبى عَمْرو وابن عباس ، ورَوى عنه قتَادة واسحاق بن سُوَيْد وغيرهما من العلماء ، وأخذ ذلك عنه أيضاً ميمون الأقْرَن ، وعَنْبَسَة الفيل ، ونصر بن عاصم الليثى (المتوفى عام ٨٩ هـ) ، وغيرهم ، ثم كان من بعدهم عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمى (المتوفى سنة ١١٣ هـ) فكان أول من بعج النحو ومدَّ القياس والعلل . وكان معه أبو عمرو بن العلاء وبقى معه بقاء طويلا ، وكان ابن أبي اسحاق أشدَّ تجريداً للقياس . وكان أبو عمرو أوسع علما بكلام العرب ولغاتها . وكان بلال بن أبي بُرْدَة جمع بينهما بالبصرة وهو يومئذ والٍ عليها وَلاَّه خالد بن عبد الله القسرى زمن هشام بن عبد الملك ، قال يونس بن حبيب قال أبو عمرو فغلبنى ابن أبى اسحاق بالهَمْز ، فنظرت فيه بعد ذلك وبالغت فيه . وكان عيسى بن عمر الثقفى (المتوفى عام ١٤٩ هـ) أخذ عن ابن أبى اسحاق ، وأخذ يونس ابن حبيب (المتوفى عام ١٨٣ هـ) عن أبى عمرو بن العلاء . وكان معهما مَسْلَمة بن عبد الله بن محارب الفهرى . وكان ابن أبى اسحاق بن خاله . وكان حمَّاد بن

(١) طبقات الشعراء للجمحى

الزِّبْرِقان ويونس يفضلانه . قال محمد بن سلّام الجُمَحى سمعت رجلا يسأل يونس عن بن أبى اسحاق وعلمه ، قال هو والبحر سواء أى هو الغاية . وأخذ عن أبى عمرو الأخفشُ الكبير عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب ، وأبو جعفر محمد بن أبى سارة الرؤاسى ، وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو وهو أستاذ الكسائى والفرَّاء ، الى أن انتهت (١) الى الخليل بن أحمد الفراهيدى (المتوفى عام ١٧٠هـ) فى أيام الرشيد ، أخذ عن عيسى بن عمر الثقفى . وعن أبى عمرو بن العلاء . فهذب الصناعة وكمَّل أبوابها . وأخذها عنه سيبويه وهو عمرو بن عثمان بن قَنْبَرَ أبو بشر (المتوفى سنة ١٦١هـ) ، فكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور الذى صار اماماً لكل ما كتب فيها من بعده ، وأخذ عن سيبويه الأخفش المجاشعى (الاوسط) (المتوفى سنه ٢١٥) ، وقُطْرُب (وهو أبو على محمد بن المستنير المتوفى سنة ٢٠٢) ، وهما من علماء البصرة ، وأتى بعدهم أبو عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى (المتوفى سنة ٢٠٩)وأبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى (المتوفى سنة ٢١٥) ، والأَصْمَعى (المتوفى سنة ١٨٠) وأبو الحسن على بن المُغيرة الأثْرم (المتوفى سنة ٢٣٢) ، وبكر بن محمد المازنى (المتوفى سنة ٢٤٨) ، وأبو عبدالله محمد بن هرون التوَّزى (المتوفى سنة ٢٣٣) وابو اسحاق ابراهيم بن سُفْيان الزيادى (المتوفى سنة ٢٤٩) ، وأبو الفضل العباس بن الفرج الرياشى (المتوفى سنة ٢٥٧) ، وغيرهم من مشهورى علماء النحو ، ثم وضع أبو على الفارسى (المتوفى ٣٧٧) وأبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجَّاج (المتوفى سنة ٣٣٩) كتباً مختصرة للمتعلمين حَذَوا فيها حذو الامام فى كتابه ، ثم طال الكلام فى هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها فى الكوفة والبصرة المِصْرَين القديمين للعرب ، وأهلها من بين أمصار العرب هم الذين نقلوا اللغة واللسان العربى وأثبتوها فى كتب فصيروها علما وصناعة ، فكثرت الأدلة والحجاج بينهم . وتباينت الطرق فى التعليم وكثر الاختلاف فى إعراب كثير من آى القرآن باختلافهم فى تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين ، وجاء

(١) ـ ابن خلدون بتصرف

المتأخرون بمذاهبهم فى الاختصار ، فاختصروا كثيراً من ذلك مع استيعابهم لجميع ما نقل ، كما فعله مالك (محمد بن عبد الله عاش من ٦٠١ الى ٦٧٢) فى كتاب التسهيل وأمثاله ، واقتصارهم على المبادىء للمتعلمين كما فعله الزمخشرى (المتوفى سنة ٥٣٨) فى المفَصَّل . وابن الحاجب (جمال الدين أبو عمر المتوفى سنة ٦٤٦) فى المقدمة له ، وربما نظموا ذلك نظماً مثل ابن مالك فى الأرجوزتين الكبرى والصغرى . وابن مُعْطى فى الارجوزة الألفية . وبالجملة فالتآليف فى هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها

ولم يكونوا (١) فيما ألَّفوا ورتَّبوا يكتفون بما يسمعونه من أهل العلم ، بل كانت عنايتهم متجهة الى التحقيق والتمحيص والاستماع من فصحاء الأعراب ووفود البادية لسلامة سليقتهم وعدم اختلاطهم بغيرهم من الأعاجم. ومن مشاهير فصحائهم أبو البيداء الرياحى وأبو مالك عمر بن كَرْكَرة ، وأبو عِرار العِجْلى ، وأبو زياد الكلابى . وأبو سِوار الغَنَوى ، وشُبَيْل بن عَزْعَرة الضَّبُعى ، وأبو عدنان ورد ابن حكيم ، ونَهْشَل بن زيد ، وأبو شَبَل العقيلى ، وأبو محلِّم الشيبانى، وأبو مسْحَل ، وأبو ضمضم الكلابى ، والبهْدَلى ، وجَهْم بن خلف المازنى ، ومؤرِّج السَدُوسى ، واللحيانى ، وخلف الأحمر وغيرهم من فصحاء العرب

فن التصريف أو علم الصرف

واما علم الصرف فالمظنون أن أول من وضعه هو معاذ الهرّاء ويستدلون (٢) على ذلك بما يأتى : وذلك أن مسلم مؤدب ولد عبد الملك بن مروان كان نظر فى النحو ثم لما حدث التصريف جلس الى معاذ الهراء فسمعه يقول لرجل كيف تُثَنّى من تَؤُزُّهم أزّاً مثل يافاعِل افْعَل ، فانكر ذلك أبو مسلم وقال:

قد كان أخذُهُم فى النحو يُعْجِبنى حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعتُ كلاما لستُ أفهمه كأنه زجل الغربان والبوم
تركتُ نحوَهم واللهُ يَعْصِمُنى من التعَجُّم فى تلك الجرائيم

(١) — الفهرست لابن النديم
(٢) — بغية الوعاة للسيوطى ، وغيره

فأجابه معاذ الهراء بقوله

عالجتَها أمْرداً حتى اذا شِبْت ولم تحسن أباجا دها
سمَّيتَ من يعرفُها جاهلاً يُصْدِرها من بعد ايرادها
سهَّل منها كل مستصعب طود على أقران أطوادها

قال السيوطى فوضح بهذا أن واضع التصريف معاذ الهراء

ومعاذ الهرّاء هذا يكنى أبا على من موالى محمد بن كعب القرظىّ وهو عم أبى جعفر الرؤاسى ، ولد فى أيام يزيد بن عبد الملك وعاش الى أيام البرامكة وعَمَّر نحو مائة وخمسين عاما ومات أولاده وأولاد أولاده وهو باق حتى قال فيه الشاعر

ان معاذ بن مسلم رجلٌ قد ضجَّ من طول عمره الأبد
يانسرَ لقمانَ كم تعيش وكم تأكل طول الزمان باليد

وتوفى فى بغداد فى السنة التى نكب فيها البرامكة أى سنة سبع وثمانين وقيل سنة تسعين ومئة فى خلافة الرشيد ، وكان معاذ بن مسلم من أعيان النحاة ، وكان يبيع الثياب الهرَوية فقيل له الهرّاء وكان شيعياً ، وأخذ عنه أبو الحسن على ابن حمزة الكسائى (المتوفى سنة ١٨٩) وغيره وصنف كتباً كثيرة فى النحو

متن اللغة

ان ما تقدم يختص بملكة اللسان فى الحركات المسماة عند النحويين بالإعراب، وقد استمر (١) الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدت الى موضوعات الألفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضوعه عندهم ، ميلاً مع هجنة المتعرّبين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتيج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث ، فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك ، وأملوا فيه الدواوين ، وكان سابق الحلبة فى ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدى المتوفى بالبصرة سنة

(١) — ابن خلدون

سبعين ومئة ، ألّف كتاب العين ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب المخارج ، فبدأ فيه بحروف الحلق ثم ما بعدها من حروف الحنك ، ثم الأضراس ، ثم الشفة ، وجعل حروف العلة آخراً ، وبدأ من حروف الحلق بالعين ، لأنه الأقصر منها ، فلذلك سمى كتابه بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون فى تسمية دواوينهم الى مثل هذا ، وهو تسمية بأول مايقع فيه من الكلمات والألفاظ ، ثم بالحاء والهاء والخاء والعين والقاف والكاف والجيم والشين والصاد والضاد والسين والراء والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والزاى واللام والنون والفاء والميم والواو والألف والياء ، والخليل هذا هو أول من استخرج العروض وحصّن به أشعار العرب .

ثم أُلّفت من بعده كتب شتى كالنوادر لأبى الحسن على بن حمزة الكسائى (المتوفى سنة ١٨٩) ، والجيم والنوادر واللغات لأبى عمرو اسحاق بن مرار الشّيبانى (المتوفى سنة ٢٠٦ هـ) ، والنوادر لأبى زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (المتوفى سنة ٢٠٧) ، واللغات لأبى عُبَيدة مَعْمَر بن المُثَنّى (المتوفى سنة ٢١٠) ، والنوادر واللغات لأبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى (المتوفى سنة ٢١٥) ، والأجناس لأبى سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصْمَعى (المتوفى سنة ٢١٦) والجامع فى اللغة لمحمد بن جعفر القزّاز القيروانى (المتوفى سنة ٤١٢) ، وغريب المُصَنّف لأبى القاسم عُبَيْد بن سلاّم (المتوفى سنة ٢٢٤) ، والنوادر لابن الأعرابى (المتوفى سنة ٢٣٢) ، والجمهرة لأبى بكر بن دُرَيْد الأزدى (المتوفى سنة ٣٢١) ، والمُنَضَّدُ لعلى بن الحسن الهنائى المعروف بكُراع النمل (المتوفى سنة ٣٠٧) ، واليواقيت لأبى عمر الزاهد غلام ثعلب (المتوفى سنة ٣٤٥) ، والتهذيب لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى (المتوفى سنة ٣٧٠) ، والتكملة لأبى على الفارسى (المتوفى سنة ٣٧٧) ، والمحيط للصاحب بن عبّاد (المتوفى سنة ٣٨٥) ، والمُجْمَل لأبى الحسن أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٠) ، وديوان الأدب لإسحاق بن ابراهيم الفارابى خال الجوهرى (المتوفى سنة ٣٥٠) ، والبارع لأبى طالب المُفَضَّل

ابن سَلَمة ، عدا كثير غيرها من التأليف المتعة فى اللغة لخلف الأحمر (المتوفى سنة ١٨٧)، وأبى فَيْد بن عمرو مؤرِّج السدوسى (المتوفى سنة ١٩٥) ، وأبى الحسن النضر بن شُمَيْل (المتوفى سنة ٢٠٣) ، وأبى الحسن بن حازم اللحيانى (المتوفى سنة ٢١٥) ، والمفضل الضَبّى (المتوفى سنة ٢٢٠) ، وأبى يوسف يعقوب بن السِّكّيت (المتوفى سنة ٢٤٤) ، وعبدالله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٠)،وأبى العبَّاس المُبَرَّد (المتوفى سنة ٢٨٥) ، وأبى اسحاق بن السَرِىّ الزجّاج (المتوفى سنة ٣١١) ، وأبى عبدالله الحسن بن خالويه (المتوفى سنة ٣٧٠)، وأبى الفتح عثمان بن جِنىٌّ (المتوفى سنة ٣٥٢) ، وكلهم من أعيان اللغويين الذين ألَّفوا فى اللغة ، ثم جاء أبو بكر الزبيدى فى المئة الرابعة (توفى سنة ٣٩٣) فاختصر كتاب العين مع المحافظة على الاستيعاب ، وألَّف الجوهرى أبو نصر اسماعيل ابن حمَّاد (المتوفى سنة ٣٩٣) كتاب الصِّحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل البداءة منها بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة لاضطرار الناس فى الأكثر الى أواخر الكلمة . وحصر اللغة اقتداء بحصر الخليل ثم ألف أبو الحسن على بن اسماعيل المعروف بابن سيده الدانى الأندلسى (المتوفى سنة ٤٥٨) كتاب المحكم والمحيط الأعظم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين ، ثم وضع الحسن بن محمد بن الحسن ابن حيدر رضِىّ الدين الصاغانى (عاش من سنة ٥٧٧ الى ٦٥٠) كتاب العباب ، ثم ألف الامام جمال الدين محمد بن مُكَرَّم بن منظور الافريقى الأنصارى الخزرجى (عاش من سنة ٦٣٠ الى ٧١١) لسان العرب ، وألَّف الامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى الشيرازى (عاش من سنة ٧٢٩ الى ٨١٧) القاموس المحيط والقابوس الوسيط ، ثم شرح الامام محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدى (المتوفى سنة ١٢٠٥) القاموس المحيط وأسماه تاج العروس من جراهر القاموس وفرغ من شرحه عام ١١٨١) ، ثم ألف بطرس البستانى اللبنانى (المتوفى سنة ١٨٨٣ م) محيط المحيط فرغ من تبييضه وطبعه فى مدينة بيروت سنة ١٢٨٦ هـ

م ١٨٧٠ م وهو آخر ما وضع من كتب اللغة التى يعول عليها ويركن الى تحقيقها .

١٨ — باب فى القول فى فضل اللغة العربية واتساعها

لغة العرب من أفضل اللغات وأعظمها اتساعاً ، أما فضلها فلما اختصت به من الاستعارة والتمثيل والقلب والابدال والتقديم والتأخير ، والبسط بالزيادة فى عدد حروف الاسم والفعل والقبض محاذاة للبسط وهو النقصان فى عدد الحروف واتساعها فى المجاز والادغام والتأليف (تأليف الحروف) واختلاس الحركات فى الكلام وتخفيف الكلمة بالحذف ، والاعراب [1] الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ والمميز لها ، واختصاصها بحروف يصعب النطق بها على غير العرب من الامم ، وتصريف الكلام ، وسننها فى مخالفة ظاهر اللفظ معناه ، والحذف والاختصار والزيادة فى الأسماء أو الأفعال أو الحروف لأغراض شتى ، والتكرير والاعادة لارادة الابلاغ فى التنبيه والتحذير والتوهم والايهام ، والمخاطبة بلفظ الجمع أو بالمفرد والمراد غير ذلك والفرق بين الضدين بحرف أو حركة ، والاضمار للأسماء أو للأفعال ، والتعويض فى الكلمات وقلبهم الحروف عن جهاتها ليكون الثانى أخف من الأول ، نحو ميعاد فلم يقولوا موعاد ، والاعتراض والاشارة والايماء دون التصريح ، والكف عن ذكر الخبر اكتفاء بما يدل عليه الكلام ، والمحاذاة والاقتصار فى الكلام على ذكر بعض الشىء والمراد كله ، والأمثلة والموازين أختير منها ما فيه طيب اللفظ وأهمل منها ما يجفوا اللسان عن النطق به فجاء الكلام بهذه المحسنات فى هذه اللغة غاية فى الرونق والعذوبة ، فصيحاً

---

(١) الاعراب مصدر أعربت عن الشىء اذا أوضحت عنه وفلان معرب عما فى نفسه أى مبين له وموضح عنه ، ومنه عربت الفرس تعريباً اذا بزغته ؛ واصل هذا كله قولهم العرب وذلك لما يعزى اليه من الفصاحة والاعراب والبيان ؛ ومنه قولهم فى الحديث « الثيب تعرب عن نفسها » والمعرب صاحب الخيل العراب ، ومنه عندى عروبة ، والعروبة الجمعة ؛ وذلك ان يوم الجمعة أظهر أمراً من بقية أيام الاسبوع وقولهم عربت معدته أي فسدت كأنها استحالت من حال الى حال كاستحالة الاعراب من صورة الى صورة . وبالاعراب يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام ولولاه ماميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام ولا نعت من تأكيد

بليغاً بعيداً عن التنافر والغرابة ، منزهاً عن النقائص ، مُعَلَّى من كل خسيسة مما يستهجن أو يستبشع ، مؤلفاً بين حركته وسكونه ، فلم يجمع بين ساكنين أو متحركين متضادين ، ولم يلاق من حرفين لا يأتلفان ولا يعذب النطق بهما أو يشنع ذلك منهما في جَرْس النغمة وحسن السمع ، كالعين مع الحاء والقاف مع الكاف والحرف المطبق في غير المطبق

فالعرب (١) تميل عن الذى يلزم كلامها الجفاء الى ما يلين حواشيه ويُرقّها ، وقد نزه لسانها عما يجفيه ، فليس فى مبانى كلامها جيم تجاورها قاف متقدمة ولا متأخرة ، أو يجامعها فى كلمة صاد أو كاف الا ما كان أعجمياً أعرب

قال أحمد بن فارس ان للعرب سنناً ونظوماً فى كلامهم وأشعارهم لو أراد مريد نقلها لاعتاص وما أمكن الا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ ، وهذه النظوم كثيرة طالت بها لغة العرب اللغات وقال: للعرب بعد ذلك كلم تلوح فى أثناء كلامهم كالمصابيح فى الدُجَى » فكلام العرب جار مجرى السحر لطفا ، وجوامع الكلم هى من منطوقهم ومفاخر لسانهم

ولم تكن عناية العرب موجهة كلها الى الألفاظ دون المعانى ، قال ابن جنى ان العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى ، وبالأسجاع التى تلزمها وتتكلف استمرارها ، فان المعانى أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدراً فى نفوسها ، فأول ذلك عنايتها بألفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقاً الى اظهار أغراضها ومراميها ، أصلحوها ، ورتبوها وبالغوا فى تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها فى السمع وأذهب لها فى الدلالة على القصد ، ألا ترى أن المثل اذا كان مسجوعاً لذ لسامعه فحفظه ، فاذا هو حفظه كان جديراً باستعماله ولو لم يكن مسجوعاً لم تأنس النفس ولا أنقت لمستجمعه ، واذا كان كذلك لم تحفظه واذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وضع له وجيء به من أجله ، ثم قال « فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها

---

(١) المزهر للسيوطى

وحَمَوا حواشيها وهذبوها وصقلوا غروبها وأرهفوها فلا ترَين أن العناية اذ ذاك انما هى بالالفاظ بل هى عندنا خدمة منهم للمعانى وتنويه وتشريف ، ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه وتزكيته وتقديسه ، وانما المبغِيُّ بذلك منه الاحتياط للموعى عليه وجواره بما يعطر بنشره ولا يعُرُّ جوهره ، كما قد نجد من المعانى الفاخرة السامية ما يُهَجِّنُه ويغض منه كُدْرةُ لفظه وسوء العبارة عنه ، فكأن العرب انما تحلى ألفاظها وتُدَبِّجُها وتُشيها وتزخرفها عنايةً بالمعانى التى وراءها وتوصلاً بها الى ادراك مطالبها ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحراً » فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتقد هذا فى ألفاظ هؤلاء القوم ، التى جعلت مصائدَ وأشراكاً للقلوب وسُلَّماً الى تحصيل المطلوب ، عُرِف بذلك أن الالفاظ خدم للمعانى والمخدوم أشرف من الخادم ثم قال وبذلك على تمكن المعنى فى أنفسهم وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى فى أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به فقدموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكنه عندهم ، وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة فى أول الفعل اذ كُنَّ دلائل على الفاعلية من هم وما هم وكم عِدَّتُهم نحو أفعل ونفعل وتفعل ويفعل وحكموا بضد هذه الصناعة اللفظية ، فحروف المعانى عند العرب بابها التقدم وحروف الالحاق والصناعة بابها التأخر ، فلو لم يعرف سبق المعنى عندهم وعلوه فى تصورهم الا بتقديم دليله وتأخر دليل نقيضه لكان مُغْنِياً من غيره كافياً »

الكناية

ومن مفاخر لغة العرب الكناية ، قال الزمخشرى « لم تكن الكنى لشىء من الأمم الا للعرب وهى من مفاخرها ، والكنية اعظام وما كان يؤهَّل لها الا ذو الشرف من قومه قال :

أُكَنِّيه حين أناديه لأُكرمه ولا أُلَقِّبُه والسوءةُ اللقبُ

والذى دعاهم الى التكنى الاجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه

الشّعر

ومن مفاخر لغة العرب الشّعر فانه ديوانهم وحافظ مآثرهم وآدابهم وأنسابهم ، ومقيد أحسابهم ومستودع علومهم ومعدن أخبارهم ومنتهى حِكَمِهم ، به يأخذون واليه يصيرون ، يرجعون اليه عند اختلافهم فى الأنساب والحروب ، ومن الشعر تعلمت اللغة وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وغريب حديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، والشعر (١) النفس له أحفظ ، واليه أسرع ، ألا ترى أن الشاعر قد يكون راعياً جلفا أو عبداً عَسِيفاً تنبو صورته وتمج جُمْلَتُه فيقول ما يقول من الشعر فلاجل قوله وما يورده عليه من طُلاوته وعُذوبة مُستَمَعه ما يصير قوله حُكْماً يرجع اليه ويقتاس به ، ولقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له أن عمدت الى سبع قصائد خيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها فى أستار الكعبة ، وقدرىَ شعر العرب على شعر سائر اللغات ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان الشعرُ (٢) علمَ القوم ولم يكن لهم علمٌ أصحَ منه فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم، ولَهِيَت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مُدَوَّن ولا كتاب مكتوب، فألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره، قال أبو عمرو بن العلاء ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير .

العَروض

والعروض التى هى ميزان الشعر وبها يعرف صحيحه من سقيمه وأهل العروض مجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الايقاع الا أن صناعة الايقاع تقسيم الزمان بالنغم وصناعة العروض تقسيم الزمان بالحروف المسموعة (٣)

---

(١) الخصائص لابن جنى (٢) الخصائص (٣) الصاحبى

الأمثال

ومن مفاخر العربية الأمثال وهى حكمة العرب فى الجاهلية والاسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها فى المنطق بكناية غير تصريح ، قال ابراهيم النظام يجتمع فى المثل أربعة لا تجتمع فى غيره من الكلام ، ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة ، وقال ابن المقفع اذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وآنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث .

١٩— باب فى القول فى اتساع اللغة العربية

اما القول فى اتساع اللغة العربية فهو شائع مشهور محقق بالعيان ، فلسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظا ، قال أحمد بن فارس : قال بعض الفقهاء كلام العرب لايحيط به الا نبى ، وهذا كلام حرِىٌّ أن يكون صحيحاً وما بلغنا أن أحداً ممن مضى أوعى حفظ اللغة كلها ، والمراد من هذا القول بيان عظمها وأن وَعْيَها معجزة لاتأتى الا من نبى ، وقال ذهب علماؤنا أو أكثرهم الى أن الذى انتهى الينا من كلام العرب هو الأقل ، وأن كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله ، ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير

وللعرب أقاويل كثيرة وتعابير جمة بعضها ليس بغريب اللفظ ولكن الوقوف على كنهه معتاص وقد بينا ذلك فى مراتب لغة العرب ، وليس أدل على اتساع اللغة العربية من استقصاء أبنية الكلام وحصر تراكيب اللغة وهو ماتوصل اليه الخليل بن أحمد ، فقد ذكر فى كتاب العين (١) أن عدة أبنية كلام العرب المستعمل منه والمهمل على مراتبها الأربع من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى من غير تكرار اثنا عشر ألف ألف وثلاثمئة ألف وألفان وتسعمئة واثنا عشر (١٢٣٠٢٩١٢) ،

وقال بهاء الدين العاملى صاحب الكشكول : اذا قيل كم يتحصل من تركيب حروف المعجم كلمة ثنائية سواء كانت مهملة أو مستعملة فاضرب

---

(١) — المزهر للسيوطى

ثمانية وعشرين فى سبعة وعشرين فالحاصل جواب : ٢٨×٢٧=٧٥٦

فان قيل كم يتركب منها كلمة ثلاثية بشرط أن لا يجتمع حرفان من جنس فاضرب حاصل ضرب ثمانية وعشرين فى سبعة وعشرين فى ستة وعشرين يكن ٢٨×٢٧×٢٦=١٩٦٥٦

وان سئلت عن الرباعية فاضرب هذا المبلغ فى ٢٥ :

١٩٦٥٦ ×٢٥=٤٩١٣٠٠ (أى ٢٨×٢٧×٢٦×٢٥)

والقياس فيه مطرد فى الخماسى فما فوق :٤٩١٣٠٠×٢٤= ١١٧٩١٢٠٠

فيكون المجموع كله ١٢،٣٠٢،٩١٢

وقال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى فى مختصر كتاب العين ان عدة مستعمل الكلام كله ومهمله ستة آلاف الف وستمئة الف وتسعة وتسعون الفاً وأربعمئة (٦،٦٩٩،٤٠٠)

المستعمل منها ٥٦٢٠

والمهمل ٦،٦٩٣،٧٨٠

		المستعمل منه	المهمل
عدة الثنائى	٧٥٠	٤٨٩	٢٦١
« الثلاثى	١٩٦٥٠	٤٢٦٩	١٥٣٨١
« الرباعى	٣٠٣٤٠٠	٨٢٠	٣٠٢٥٨٠
« الخماسى	٦٣٧٥٦٠٠	٤٢	٦٣٧٥٥٥٨
المجموع	٦،٦٩٩،٤٠٠	٥٦٢٠	٦،٦٩٣،٧٨٠

والكلام المهمل على ثلاثة أضرب ، ضرب لا يجوز ائتلاف حروفه فى كلام العرب بتّةً وذلك كجيم تؤلف مع كاف أو كاف تقدم على جيم وكعين مع غين أو حاء مع هاء أو غين ، فهذا وأشبهه لا يأتلف ، والضرب الثانى ما يجوز تألف حروفه ولكن العرب لم تقل عليه وذلك كارادة مريد أن يقول عضخ فهذا يجوز تألفه وليس بالنافر ، الا تراهم قد قالوا فى الأحرف الثلاثية خضع لكن العرب

لم تقل غَضَنَخ ، والضرب الثالث هو أن يريد مريد أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الزلق أو الأطباق حرف ،

وقد ذكر ابن خلدون فى المقدمة الوجوه العددية التى حصر بها الخليل أبنية الكلام فقال : ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالى من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد ، لأن الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ، ثم يؤخذ الثانى مع الستة والعشرين كذلك ، ثم الثالث والرابع ، ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا، فتكون كلها أعداداً على توالى العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كما هى بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائى ، لان التقديم والتأخير بين الحروف معتبر فى التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات ، وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لأن كل ثنائية يزيد عليها حرف فتكون ثلاثية ، فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهى ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية ، فتجمع من واحد الى ستة وعشرين على توالى العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج فى ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك فى الرباعى والخماسى ، فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه فمن هذا العدد الوافر يتحقق من اتساع اللغة ووفرة مادتها

ومما امتازت به اللغة العربية وطالت به غيرها من اللغات ويدخل فى باب اتساعها وعظمها كثرة المترادف فيها ، وهو وان أنكره بعضهم وزعم أن كل مايظن من المترادفات فهو من المتباينات التى تتباين بالصفات ، غير أنه ليس منها اسم ولا صفة الا ومعناها غير معنى الآخر ، وقد عللوا المترادف هذا بأنه من واضعين مختلفين وهو الأكثر ، بأن تضع احدى القبيلتين أحد الاسمين والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد من غير أن تشعر احداهما بالاخرى ،

ثم يشتهر الوضعان ويخفى الواضعان ، أو أن يكون من واضع واحد وهو الاقل

ومن فوائده (١) أن تكثر الوسائل أى الطرق الى الاخبار عما فى النفس، فانه ربما نسى الانسان أحد اللفظين ، أو عسر عليه النطق به اذا كان ألثغ ، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك ، ومنها التوسع فى سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة فى النظم والنثر ، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع ، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ ، ومنها قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحاً للآخر الخفى وقد ينعكس الحال بالنسبة الى قوم دون آخرين .

واللغة العربية بلهجاتها المختلفة هى الآن لغة كثير من الأمم بخلاف اللغات السامية الأخرى ، وتفوقها وتغلبها هذا هو للاسلام ، وهى وان كانت الآثار اللغوية فيها أحدث منها فى كثير من اللغات السامية الأخرى فان اللغة الفصحى لغة القرآن والحديث هى اللغة التى حافظت على أساليبها القديمة الى الآن ، فهى هى اليوم كما كانت منذ آلاف السنين ، واللغة الفصحى هى اليوم فى الأسماء والأفعال أغنى من كل اللغات السامية فان صيغ الفعل فيها عديدة وهى فَعَل ونَعَّل وفاعَل وتَفَعَّل وتفَاعَل وانفَعَل وافتَعَل وافعَلَّ واستفعَل وافعالَّ وافعَوْعَل وافعَوَّلَ وافعَنْلَلَ وافعَنْلَى ، ولكل صيغة منها معنى لا تؤديه الأخرى وهذا ما لا نظير له فى لغة أخرى

وأما الأسماء فأسماء المصادر منها كثيرة جداً لا تنافسها فى كثرتها لغة أخرى ، وكذلك جموع التكسير التى امتازت بها اللغة العربية وغلبت بها اللغات الأخرى حتى السامية منها وهى ثلاثة وعشرون وزناً : فُعْل وفُعُل وفُعَل وفِعَل وفُعَلَة وفَعَلَة وفَعْلى وفِعَلة وفُعَّل وفُعَّال وفِعال وفُعُول وفِعلان وفُعْلان وفُعَلاء وأَفْعِلاء وفَوَاعِل وفَعَائِل وفَعَالِى وفَعَالَى وفَعَالِيّ وفَعَالِل وفَعَائِل

---

(١) المزهر

وقد جمع بعضهم من أوزان جموع التكسير نحو اثنين ومئة وزن ، وبهذه الخصائص والميزات كانت اللغة العربية ميزانا يقاس عليه الاسماء فى اللغات السامية الأخرى ، وهى واسعة المعانى جزلة الأوزان لاتحصى مفرداتها ويعجز العالم عن استيعابها بالحفظ ولا بدّ له من الاستعانة بمعاجم اللغة على الدوام .

٢٠ — باب في الكتابة العربية

ومن مميزات لغة العرب حروفها التى تكتب بها وتلفظ بناء عليها ، وقد عقد لها المرحوم حفنى ناصف بك باباً خاصاً فى كتابه «تاريخ الأدب» أتى فيه على قسمة الحروف الى أصلية والى متفرعة وبين حركاتها ومخارجها وصفاتها وترتيبها وخواصها الى أن قال فى آخر كلامه « وليس غرضنا من تعديد هذه المزايا لحروف اللغة العربية الحط من شأن غيرها من اللغات أو تثبيط همم المشتغلين بها معاذ الله ، وانما غرضنا الردّ على المفتونين ببعض اللغات الأجنبية ، الجاهلين بالعربية فى زعمهم أن العربية أصعب مراساً وأبعد منالاً ، وهم لو أعطوها من العناية ربع ماأعطوه لغيرها لعرفوا أنها فى غاية الاحكام وعلى طرف التمام » فمن شاء استيعاب جميع ماجاء فى هذا الباب فليرجع اليه

وقد ذكر حفنى ناصف بك قواعد الشكل فى الكتابة العربية فقال« كانت الكتابة قديماً فى الشرق والغرب عارية عن الشكل ، ثم أدخل اليونان ومن حذا حذوهم من أهل أوروفا علامات فى صلب كتابتهم ، بمعنى أنهم جعلوا بعد كل حرف متحرك حرفاً آخر أوحرفين للدلالة على حركة ذلك الحرف،فصارت الكتابة عندهم ضعف ما كانت عليه قديماً بل أكثر من الضعف ، أما العرب وسائر الساميين فلم يدخلوا الشكل فى صلب الكتابة بل جعلوا له علامات توضع فوق الحرف أو تحته أو بجانبه ، ولم يشكلوا كل حرف وانما شكلوا من الحروف ماتلتبس حركته وتركوا أكثر الحروف غفلا ضناً بالوقت أن يضيع فيمالا فائدة له تذكر واقتصاداً فى الأوراق ، فصارت الكتابة العربية بالنسبة

لكتابة الافرنج كأنها مختزلة يكتبها العربى فى أقل من نصف الزمن الذى يشغله الافرنجى فى كتابة ترجمتها على فرض الكاتبين فى درجة واحدة من السرعة ، وقد جربنا ذلك مراراً فلم تخطىء التجربة، فالافرنج سهلوا القراءة ولكنهم صعبوا الكتابة والعرب سهّلوا الكتابة والقراءة معاً أما اذا تركوا الكتابة غُفْلاً فقد سهلوا الكتابة وصعبوا القراءة، وقد أجمع الأدباء على أنهم لا يتركون الكتابة غُفْلاً الا اذا كانوا يكتبون لأنفسهم أو لنظرائهم أو كان المكتوب قصة ونحوها مما لا يعظم الخطر فى اللحن فيه ، والمتفق عليه عندهم أن يشكلوا ما يشكل كما قال ابن مجاهد ، ينبغى ألا يُشَكَّل الا مايُشْكِل فالقاعدة العامة عندهم تنحصر فى قولك « أشكل مايُشْكل » ، وقد بين حفنى بك القواعد لما ينبغى أن يشكل من الحروف فى بنية الكلمة تفاديا من اللبس وما ينبغى أن يترك غفلا اما لأنه الأصل فى الكلمة أو لأنه معلوم ، ومتى يكون الشكل تاماً فى جميع الكلمة ، وتحوى القاعدة الأخيرة المصاحف والكتب المقدسة فانها تشكل شكلا تاماً زيادة فى الاحتياط ، وكذلك كتب تعليم الاطفال ثم قال رحمه الله انه ليس فى تطبيق هذه القواعد صعوبة على من عنده مسكة من الذوق ، وذكر مناظرة جرت بينه وبين متشيع لهجر العربية المُضَرية والاقتصار على المخاطبة والمكاتبة بالعامية ، واستبدال الحروف اللاطينية بالحروف العربية ، وهى محاورة لطيفة أعجز بها مناظره عن الجواب وختمها بقوله : « فقد علمت من هذه المناظرة أن الكتابة العربية اذا شكل من حروفها مايشكل كانت غاية الغايات فى الاختصار والبيان وليس فى الامكان أبدع مما كان »

٢١ — باب فى حاجة العرب الى التعريب

بلاد العرب وتعرف بجزيرة العرب تجاور أمماً كثيرة من جميع جهاتها ، وهذه الأمم المجاورة لأمة العرب كالهند وفارس والعراق والشام والروم ومصر والحبشة كانت على جانب عظيم من المدنية والحضارة ، وعلاقاتها التجارية

والسياسية مع جزيرة العرب دائمة الاتصال ، فكان من الضرورى تبعا للمعاملات والأسفار المتداولة بينها تبادل المصطلحات العامة واقتباس مسميات الاشياء التى توجد فى بلد منها ولا توجد فى الأخرى ، مما تضطرها اليه التجارة وتبادل المنفعة ، حتى يحسن التفاهم وتسهل المعاملة ، فيتناول العرب اللفظ الأعجمى فيصقلونه ويهندمونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كأنه عربى صميم .

قال القاضى أبو القاسم صاعد بن أحمد (١) اما علمها أى جزيرة العرب التى كانت تتفاخر به وتبارى به فعلم لسانها وأحكام لغتها ونظم الأشعار وتأليف الخطب ، وكانت مع ذلك أصل علم الأخبار ومعدن معرفة السير والأمصار ، قال أبو محمد الهمدانى ليس يوصل الى خبر من أخبار العجم والعرب الا بالعرب ومنهم ، وذلك أن من سكن بمكة من العماليق وجرهم وآل السُّمَيْدِع بن هونة وخزاعة أحاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية وأخبار أهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون أخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاوروا الأعاجم من عهد أسعد الى كرب وبختنصر حووا علم الأعاجم وأخبارهم وأيام حمير ومسيرها فى البلاد ، وعنهم صار أكثر مارواه عَبيد بن شَرْيَة ومحمد بن السايب الكلبى والهيثم بن عدى وكذلك من وقع بالشام من مشايخ غسّان خبير بأخبار الروم وبنى اسرائيل واليونان ، ومن وقع بالبحرين من تنّوخ واياد فعنه أتت أخبار طسم وجديس ، ومن وقع من ولد نصر من الأزد بعمان فعنه أتى كثير من أخبار السند والهند وشىء من أخبار فارس ، ومن وقع بجبلَىْ طىء فعنه أتت أخبار آل أُذَيْنَة والجرامقة . ومن سكن باليمن فانه عَلِم أخبار الأمم جميعاً لأنه كان فى دار مملكة حمير وفى ظل الملوك السيّارة الى الشرق والغرب والجنوب والشمال . ولم يكن ملك منهم يغزوا الاّ عرف البلاد وأهلها ، والعرب أصحاب حَفَظَة ورواية لخفة الكلام عليهم ورقة ألسنتهم اه

---

(١) طبقات الامم

فالعرب لاتحصل علم ذلك كله الا اذا أدمجت فى لسانها كثيراً من ألفاظ الامم التى نقلت عنها أسماء الاجناس والأعلام فتأخذ تلك الاسماء التى سقطت اليهم فتعربها بألسنتها وتحولها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فتصير عربية وتضمها الى لغتها كأنها منها ، فالتعريب قد وقع قديماً من لغات الأمم المجاورة وهذه كانت حال العرب فى جاهليتها

فلما جاء الاسلام ونزل القرآن مرشداً وهاديا لهم الى طريق الخير . كان أول شىء عنيت به العرب من العلم هو لغتها ، ومعرفة أحكام شريعتها ، ونقلت من اللغة ألفاظاً عن مواضعها الى مواضع أخرى ، وهى المسماة بالألفاظ الاسلامية كلفظ المؤمن من الايمان وهو التصديق ، والمسلم من التسليم ، والكافر من الكفر وهو الغطاء والستر ، والمنافق من نافقاء اليربوع ، والفسق من قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرتها ، وكذلك كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، فان الصلاة فى اللغة هو الدعاء ، والصوم هو الامساك ، والزكاة النمو ، والحج القصد فزاد الشرع فى معناها مازاد مما هو معروف ، وكذلك سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر

واستمر الحال على هذا المنوال من العناية باللغة والرعاية للدين ، فى زمن الخلفاء الراشدين وفى الدولة الأموية ، ثم أخذت الهمم تتجه الى العلوم الكونية ، والسير فى طريق العمران المدنى من تعلم العلوم والصنائع سداً لحاجاتها المتوالية ، فاستحدث أهل العلوم والصناعات من الأسماء ونقلوا من المصطلحات المجازية ما احتاجوا اليه اتماماً لنهضتهم

وأول من عُنى منهم بنقل العلم خالد بن يزيد بن معاوية رأس الدولة الأموية وأول فلاسفة ، الاسلام ، قال محمد بن اسحاق (١) كان خالد بن يزيد بن معاوية هذا حكيم آل مروان ، وكان فاضلا فى نفسه وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة (٢) فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى

---

(١) الفهرست (٢) أى علم الكيميا

الى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الاسلام من لغة الى لغة ، وكان أول من نقل له كتب الصنعة اصطفن القديم (١) نقلها من اليونانية الى العربية ، ومن النقلة ماسَرْجَوَيْه الطبيب السريانى نقل من اليونانية الى العربية كناش أهرُون وكان فى زمن مروان بن الحكم رابع خلفاء بنى أمية ، وفى زمن عبد الملك بن مروان اختص الحجاج بن يوسف عامله على العراق ثيَاذوق (البطريرك) وثاودون الطبيبين السريانيين ، ومن تلاميذ ثياذوق نبغ كثير منهم فُرات بن شحناثا وهو سريانى اللغة يهودى المذهب ، وفى زمن الوليد بن عبد الملك سادس خلفاء بنى أمية وهو الذى تولى الخلافة فى سنة ست وثمانين نُقِل الديوان فى بلاد العراق من الفارسية الى اللغة العربية وذلك فى أيام الحجاج ايضاً ، والذى نقله صالح بن عبد الرحمن مولى بنى تميم ،

نقل الدواوين الى العربية

قال محمد بن اسحاق : كان أبو صالح من سبى سجستان ، وكان يكتب لزاد أنفرُّوخ بن بيرى كاتب الحجّاج يخط بين يديه بالفارسية والعربية ، فخفّ على قلب الحجاج ، فقال صالح لزاد أنفروخ إنك أنت سبَبي الى الأمير وأراه قد استخفنى ، ولا آمن أن يقدمنى عليك وأن تسقط منزلتك ، فقال لا تظن ذلك هو الى أحوج منى اليه ، لأنه لا يجد من يكفيه حسابه غيرى ، فقال والله لو شئت أن أحوّل الحساب الى العربية لحولتهُ ، فقال فحوِّلْ منه أسطراً حتى أرى ففعل فقال له تمارض فتمارض ، فبعث الحجاج اليه ثيادورس طبيبه فلم ير به علةً وبلغ زاد أنفرُّوخ ذلك ، فأمره أن يظهر واتفق أن قُتل زاد أنفرُّوخ فى فتنة ابن الأشعث وهو خارج من موضع كان فيه الى منزله ، فاستكتب الحجاج صالحا مكانه ، فأعلمه الذى جرى بينه وبين صاحبه فى نقل الديوان، فعزم الحجاج على ذلك وقلده صالحاً فقال له مراد انشاه بن زاد أنفرُّوخ كيف تصنع بدهويه وشيشويه قال أكتُب

(١) سمى قديما وهو معلم خالد بن يزيد لانه يوجد آخر باسمه هو اصطفن بن باسيل من النقلة

عشرا ونصف عشر ، قال فكيف تصنع بويد قال أكتب ، وأيضاً قال الوَيْدُ النَيِّفُ والزيادة تزاد ، فقال له قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية ، وبذلَتْ له الفُرسُ مئة ألف درهم على أن يُظْهِرَ العجز عن نقل الديوان فأبى الا نقلَه فنقله ، فكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله درُّ صالح ما أعظم مِنَّته على الكتاب وكان الحجاج أجَلَّه أجَلاً فى نقل الديوان

واما الديوان بالشام فكان بالرومية ، والذى كان يكتب عليه سرجون بن منصور لمعاوية ابن أبى سفيان ثم منصور بن منصور ، ثم نقل الى العربية فى زمن هشام بن عبد الملك عاشر خلفاء بنى أمية ولى الخلافة فى سنة ست ومئة (١٠٦) وتوفى فى سنة خمس وعشرين ومئة (١٢٥ هـ) ، والذى نقله أبو ثابت سليمان بن سعد مولى حسين وكان على كتابة الرسائل أيام عبد الملك وقيل ان الديوان نقل فى أيام عبد الملك .

اتساع دائرة النقل والترجمة

ولما دالت دولة الأمويين وبزغ شماع الدولة العباسية ثابت الهمم (١) من غفلتها وهبت الفطن من سنتها ، فكان أول من عنى منهم بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور ، كان مع براعته فى الفقه وتقدمه فى علم الفلسفة وخاصة فى علم صناعة النجوم كلفاً بها وبأهلها ، ولقد عرف فى عهد هذه الدولة كثير ممن اشتهر من مهرة النقلة المتفننين والمبرزين فى كل علم لاسيما الطب والفلسفة والرياضى ، فترجموا كثيرا من كتب الهند وفارس ويونان ، فمن هؤلاء عبدالله بن المقفع الخطيب الفارسى كاتب أبى جعفر المنصور وقد ترجم كثيرا من كتب ارسطاطاليس المنطقية وكتاب كليلة ودمنة الهندى ، ونقل محمد بن ابراهيم الفزارى كتب الهيئة والفلك من الهندية الى العربية وخاصة كتاب السند هند ، وجورجيس ابن بختيشوع ، وعيسى بن شهلاثا ، وقد نقلا من اليونانية الى العربية ، ونوبخت المنجم نقل كتب يونان فى علم حركات النجوم ، وفى زمن المهدى بن المنصور ثالث الخلفاء العباسيين اشتهر توفيل بن توما المنجم ، وأبو قريش طبيب المهدى المعروف بعيسى الصيدلانى ، وبختيشوع بن جيورجيس بن

بختيشوع فى زمن هرون الرشيد خامس الخلفاء العباسيين ، وأبناء جبريل ويوحنا بن ماسويه وقد ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة ، وصالح ابن بهلة

ولما أفضيت الخلافة الى عبدالله المأمون بن هرون الرشيد سابع الخلفاء العباسيين فى حدود المائتين طمحت (١) نفسه الفاضلة الى ادراك الحكمة ، وسمت به همته الشريفة الى الاشراف على العلوم الفلسفية ، فاخذ يتمم مابدأ به جده المنصور فاقبل (٢) على طلب العلم فى مواضعه ، واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ، فداخل ملوك الروم وأتحفهم بالهدايا الخطرة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بما حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطا طاليس وأبقراط وجالينوس وأقليدس وبطلميوس وغيرهم من الفلاسفة فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم احكام ترجمتها ، فترجمت له على غاية ما أمكن ثم حض الناس على قراءتها ورغبهم فى تعليمها ، فنفقت سوق العلم فى زمانه ، وقامت دولة الحكمة فى عصره ، وتنافس أولو النباهة فى العلوم ، لما كانوا يرون من اخصائه لمنتحليها ، واختصاصه متقلديها فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ، ويلتذ بمذاكرتهم ، فينالون عنده المنازل الرفيعة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار

---

(١) طبقات الامم

(٢) ذكر محمد بن اسحاق فى الفهرست احد الاسباب التى من أجلها كثرت كتب الفلسفة وغيرها من العلوم ، ذلك أن المأمون رأى فى منامه كأن رجلا أبيض اللون مشربا حمرة واسع الجبهة مقرون الحواجب أجلح الرأس أشهل العينين حسن الشمائل جالس على سريره ، قال المأمون وكأنى بين يديه قد ملئت له هيبة . فقلت من أنت قال انا ارسطا طاليس فسررت به وقلت أيها الحكيم أسألك ، قال سل ، قلت ما الحسن ، قال ما حسن فى العقل ، قلت ثم ماذا قال ما حسن فى الشرع ، قلت ثم ماذا قال ما حسن عند الجمهور ، قلت ثم ماذا قال ثم لا ثم ، وفى رواية أخرى قلت زدنى ، قال من يضحك فى الذهب فليكن عندك كالذهب ، وعليك بالتوحيد فكان ، هذا المنام من أوكد الاسباب فى اخراج الكتب ؛ فان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون ، فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما من مختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة فاخذوا مما وجدوا واختاروا . فلما حملوه اليه أمرهم بنقله فنقل

والمعرفة بالشعر والنسب، فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعليم فى أيامه كثيراً من أجزاء الفلسفة ، وسنّوا لمن بعدهم منهاج الطب ، ومهدوا أصول الادب ، حتى كادت الدولة العباسية تضاهى الدولة الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها »،
وقد اشتهر فى هذا العصر عصر النور والمعرفة مالا يحصى عددا من أجلّة العلماء والمترجمين والنقلة فى سائر العلوم ، حتى كادت اللغة العربية لايخلوا منها علم معروف لهذا الوقت ،ومن هؤلاء النقلة والمترجمين جماعة أخرجهم الخليفة المأمون منهم الحجاج بن مطر نقل المجسطى وأقليدس ، وابن البطريق ، وسلما صاحب بيت الحكمة ببغداد ، ويوحنا بن ماسويه ، وممن نفذ الى بلاد الروم للنقل بنو موسى ابن شاكر المنجم الثلاثة محمد وأحمد والحسن وهم الذين قاسوا دورة كرة الارض (محيط الكرة الأرضية) وقدروا الدرجة الأرضية، وقد أنفذوا الى بلد الروم حنين بن اسحاق وغيره ليأتيهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى والطب ، وكانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق ،وحبيش بن الحسن وثابت بن قرّه وغيرهم فى الشهر نحو ٥٠٠ دينار للنقل والملازمة ، وممن حمل معه شيئاً من بلد الروم لنقله قسطا بن لوقا البعلبكي ، ومن النقلة أبو زكريا يحيى بن البطريق وكان فى جملة الحسن بن سهل ، وابن ناعمة عبد المسيح ابن عبدالله الحمصى ، وسلاّم الأبرش نقل السماع الطبيعى ، وحبيب بن بحر مطران الموصل فسّر للمأمون عدة كتب ، وهلال بن هلال الحمصى ، وبسيل المطران، وأبو نوح بن الصلت، واسطاث، وجيرون وصليبا واصطفن بن باسيل ، وابن رابطة ، وعيسى بن نوح ، وأبو اسحاق قويرى وأيوب الرهاوى ، وأيوب وسمعان فسّرا زيج بطلميوس لمحمد بن خالد بن يحى البرمكي ، وباسيل بن شهدى الكرخي نقل كتاب الأجنة لبقراط ، وأبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب نقل كتاب أفلاطون فى أداب الصبيان ، وأيوب بن القاسم الرّقىّ نقل كتاب ايساغوجى ،ومرّلاحي ينقل بين يدى على بن ابرهيم الدهكي ، ودار يشوع ، وعيسى بن يحيى الدمشقى ، وابراهيم بن الصلت ، ويحيى بن عدى التفليسى وسلمويه وزكريا الطيفورى وسرجيوس الراس عينى اليعقوبى وماسرجويه وعيسى بن ماسرجويه

وبختيشوع بن جبريل وجبريل بن بختيشوع ، واسحاق بن حنين بن اسحاق وسابور بن سهل وأبو بشر متى، وأبو الحسن الحرّانى وأبو الخير بن سوّار وأبو الوفا البُزْجانى ويوحنا بن القس وابراهيم بن بكر وعيسى بن زرعا ويوسف الراهب وعيسى النفيسى وسنان بن ثابت بن قُرّة وابن بهلول وأبو الفرج الطيب وغريغوريوس أبو الفرج بن العبرى

وممن اشتهر من هؤلاء الفحول فى الفنون المختلفة أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب وابن أحد ملوكها شريف الاصل بصْريًا كان أبوه أميراً على الكوفة للمهدى والرشيد ، ولم يكن فى الاسلام من اشتهر عند الناس بمعاناة الفلسفة حتى سموه فيلسوفاً غيرُه ، وله مؤلفات وتراجم عديدة فى علوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والأرثماطيقى والموسيقى والنجوم وغيرها من الفنون وقد أربت مؤلفاته على المائتين وهؤلاء كانت أكثر نقولهم من اليونانية أو السريانية الى العربية

وآل نوبخت وموسى ويوسف ابنا خالد ، وأبو الحسن على بن زياد التميمى نقل زيج الشهريار ، والحسن بن سهل المنجم ، والبلاذُرى أحمد بن يحيى ، وجَبَلة بن سالم واسحاق بن يزيد نقل كتاب سيرة الفرس المسمى اختيار نامه ومحمد بن الجهم البرمكى ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكردى ، وزاد ويه بن شاهويه الاصفهانى ، ومحمد بن بَهْرام بن مطيار الاصفهانى وبهرام بن مردان شاه موبذ مدينة نيسابور ، وعمر بن الفرّخان ، وكان هؤلاء ينقلون من الفارسية الى العربية

ومنكه الهندى ، وابن دهن الهندى ، وكان اليه بيمارستان البرامكة وهؤلاء نقلوا الى العربى من اللسان الهندى

وابن وحشية نقل من النبطية الى العربية

ويلى هؤلاء طبقة أخرى من المترجمين والنقلة والعلماء والمفسرين كثيرة العدد لا يمكن استيعابها فى مثل هذا الكتاب ، فهؤلاء قد وضعوا من المصطلحات والمسميات مالم يجدوا بداً من وضعها وتعريبها وأدمجوها فى اللغة وهى باقية عياناً تسهل رؤيتها فى مختلف المصنفات المنقولة ومن شاء الاطلاع على سر النهضة العربية

ومعرفة ما نقل اليها بالتفريد والتبعيض فليطالع الكتب الآتية : كتاب الفهرست لابن النديم ، كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، وعيون الانباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، وتاريخ الحكماء لابن القفطي ، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده

ومن الكتب الافرنجية

Histoire de la médecine arabe par le Dr. Lucien Leclerc, Paris 1876

تاريخ الطب عند العرب تأليف لوقيان لقلرك طبع باريس سنة ١٨٧٦

Geschichte der arabischen aerzte und naturforcher, von Ferdinand Wüstenfeld, Götthingen 1840

تاريخ الاطباء والطبيعيين العرب تأليف فردينان وستنفلد طبع غوتنجن سنة ١٨٤٠

De Auctorum graecorum, versionibus et commentarius, syriacis, arabicis, armeniacis, persique. Scripsit Joannes Georgius Wenrich. Lipsiae 1842

المؤلفات اليونانية التي نقلت أو فسرت باللغات السريانية والعربية والارمنية والفارسية تأليف يونس جيورجيوس ونريش طبع في ليبسيك سنة ١٨٤٢

Die Arabischen uebersetzungen aus dem griechischen von M. Steinschneider Leipzig 1843

النقول العربية من اللغة اليونانية تأليف اشتاينشنيدر طبع ليبسيك سنة ١٨٩٣

وغير هذه من الكتب كثير غير المواضيع والمقالات المتفرقة في المجلات العلمية كالمجلة الأسيوية الفرنسية (journal asiatique) والمجلة الالمانية الشرقية (Zeitschrift der deutchen Morgenländischer geselle schaft.) الخ.

٢٢ — باب فى الدلالة الكتابية على الحروف الأعجمية

قدمنا ان اختلاط العرب بالأمم المجاورة واقتباسهم بعض الألفاظ الضرورية التى يستلزمها التبادل التجارى والتعارف السياسى انما هو قديم ، وأنهم كانوا يأخذون الكلمات فينطقونها بحسب حروف لغتهم على اختلاف الأمم فى النطق والحروف ، ولم يكونوا يستعملون النطق بحروف الأمم الأخرى ، وحروفهم التى نطقوا بها ثمانية وعشرون حرفاً ، وحروف الأمم الأخرى قد تزيد أو تنقص عن ذلك ، ومع أنهم اقتبسوا كثيراً من الأسماء الجنسية والعلمية فلم نر فى كتابات العرب الأقدمين التى عثر عليها الأثريون فوق الأحجار من مختلف نواحى جزيرة العرب ما يدل على أنهم اتخذوا حروفاً لم تنطق بها ألسنتهم ، ولا دلّوا عليها بعلامات تميزها عن مثيلاتها فى لغتهم ، كذلك لم نعثر على ما يدل على هذا الاقتباس فى كتبهم ، وانما عثرنا على العبارة الآتية فى مقدمة كتاب العبر قال :

اعلم أن الحروف فى النطق كما يأتى شرحه بعد هى كيفيات الأصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت ، بقرع اللهاة وأطراف اللسان مع الحنك والحلق والأضراس ، وبقرع الشفتين أيضا ، فتتغاير كيفيات الأصوات بتغاير ذلك القرع و وتجىء الحروف متمايزة فى السمع ، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما فى الضمائر ، وليست الأمم كلها متساوية فى النطق بتلك الحروف ، فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى ، والحروف التى نطقت بها العرب هى ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت ، ونجد للعبرانيين حروفاً ليست فى لغتنا ، وفى لغتنا أيضا حروف ليست فى لغتهم ، وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ، ثم أن أهل الكتاب من العرب اصطلحوا فى الدلالة على حروفهم المسموعة بأوضاع حروف مكتوبة متميزة بأشخاصها ، كوضع ألف باء و ج و زاء و طاء الى آخر الثمانية والعشرين ، واذا عرض لهم الحرف الذى ليس من حروف لغتهم بقى مهملا عن الدلالة الكتابية مغفلا عن البيان ، وربما يرسمه

بعض الـكتاب بشكل الحرف الذى يكتنفه من لغتنا قبله أو بعده ، وليس ذلك بكاف فى الدلالة ، بل هو تغيير فى الحروف من أصله ، ولما كان كتابنا مشتملا على البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا فى بعض أسمائهم أو بعض كلماتهـم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنـا ، اضطررنا الى بيانه ، ولم نكتف برسم الحرف الذى يليه كما قلناه لأنه عندنا غـير واف بالدلالة عليـه ، فأصطلحت فى كتابى هذا على أن أضع ذلك الحرف العجمى بما يدل على الحرفين اللذين يكتنفانه ، ليتوسط القارىء بالنطق به بين مخرجى ذينك الحرفين فتحصل تأديته ، وانما اقتبست ذلك من رسم أهل المصحف حروف الاشمام كالصراط فى قراءة خلف ، فان النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والزاى ، فوضعوا الصاد ورسموا فى داخلها شكل الزاى ، ودلّ ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت أنا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالـكاف المتوسطة عنـد البربر بين الـكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثـل اسم بلـكين Bologguin ، فأضعها كافاً وأنقطها بنقطة الجيم واحـدة من أسفل ، أو بنقطة القاف واحـدة من فوق ، أو ثنتين ، فيـدل ذلك عـلى أنه متوسط بين الـكاف والجيم أو القاف ، وهذا الحرف أكثر ما يجىء فى لغة البربر ، وما جاء من غيره فعلى هذا القياس أضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين معا ليعـلم القارىء أنه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ، ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانبيه لـكنا قد صرفناه عن مخرجه الى مخرج الحرف الذى من لغتنا وغيّرنا لغة القوم » [١]

على أننا لم نر لذلك مثيلا فى المخطوطات العديدة على اختلاف أزمانها والتى تيسر لنا الاطلاع عليها ، واننا قد نظرنا فى كتب القراءات ورسم المصاحف فلم

(١) قال دوصلان De Slane ناقل مقدمة بن خلدون الى الافرنسية انه رأى تطبيق قاعدة بن خلدون هذه فى بعض نسخ مخطوطة من تاريخ البربر ، ثم أغفل النساخ هذه القاعدة والنسخة المطبوعة من هذا السفر خالية من هذا الاصطلاح وان كان لم يغفلها هو فى الترجمة الفرنسية

نر فيها ما يفيد وجود رسم خاص لحروف خاصة يختلف نطقها عن نطق الحروف العربية تبعاً لاختلاف القراءات الخاصة ببعض الآيات القرآنية سوى ما ذكره ابن خلدون من الاشارات ، ولا يفوتنا أن نذكر أن بعض اللغات الشرقية التى اتخذت الحروف العربية رسما لمنطق حروفها مثل اللغات الفارسية والتركية والأردية والمالية (لغة الملاى) وغيرها من لغات آسيا قد أوجدت فيها صوراً جديدة من نفس الحروف العربية لبعض حروف لغتها التى لا ينطق بها لسان العرب وقد اصطلح الفرس والترك على خمس صور لخمسة حروف غير موجودة فى اللغة العربية ، وانما قد توجد فى لهجات بعض قبائل العرب ، وهذه هى الحروف

البـاء [1] المشددة المشوبة بالفاء (ب P) وتحدث بشدٍّ قوى للشفتين عند الحبس وقلع بعنف وضغط بعنف وتقع عند قولهم پروزى

وفاء تكاد تشبه الباء (V) وتقع فى لغة الفرس عند قولهم فرندى تفارق الباء لانه ليس فيها حبس تام، وتفارق الفاء بأنّ تَضْيِيق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر وضغط الهواء أشد حتى يكاد أن يحدث بسببه فى باطن الشفة اهتزاز

ومنها الحرف الذى ينطق به فى أول البئر بالفارسية وهو « چا » (تش tch)
وهذه الجيم يفعلها اطباق من حروف اللسان أكثر وأشد وضغط للهواء عند القلع أقوى ونسبة الجيم الدربية الى هذه نسبة الكاف غير العربية الى الكاف العربية

ومنها الكاف المشوبة بالجيم گ = ج — G — ch

والزاى الشينية (ز = ش = .J) شبيهة فى اللغة الفارسية عند قولهم « ژد»
وهى شين لا تقوى ولكنها تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان والاستعانة بخلل الأسنان

وقد اصطلح بعض العلماء العصريين على بعض اشارات قريبة من الشكل العربى توضع فوق الكلمة العربية أو تحتها للدلالة بها على منطق بعض الحروف التى توجد فى اللغات الأعجمية (الأورفية) ولا توجد فى اللغة العربية ومن هؤلاء المرحوم حفنى ناصف بك وقد ذكرها فى كتابه تاريخ الأدب والفاضل صاحب العطوفة ادريس راغب بك افندى وقد أطلعنى على طريقته فى كراسة مهيأة للطبع ،

---

(١) أسباب حدوث الحروف لابن سينا

ولا حاجة لى بذكرها لأنى من المحافظين على اللغة ومنطقها المتشيعين للتعريب والجرى على الأسلوب العربى الصريح.

٢٣ — باب في النقل من اللغات الأعجمية الى العربية

اتسعت دائرة العلوم فى هذا العصر، وتعددت أنواعها، وكثرت مصطلحاتها ومسمياتها حتى جاوزت الألوف، فبعضها أسماء للمعانى، وبعضها للذوات والأجناس، فاصبح نقلها الى العربيه عبئاً ثقيلاً على كاهل العلماء والمشتغلين بالتحرير والتحبير، وهذه المصطلحات قد وضعت فى لغاتها وضعاً، اشتقاقاً أو نحتاً من اليونانية أو اللاطينية، وقد اختلفت الأنظار وتحيرت الأفهام وتعددت المسالك فى نقل هذه المصطلحات الى اللغة العربية، أتترجم ترجمة أو يشتق لها اشتقاقاً، أو يتجوز لها مجازاً، أو تعرب تعريباً، فهذه المسالك الخمسة ليست كلها فى مستوى واحد من السهولة أو الصعوبة فى المنفعة أو الضرر، من حيث العمل بها أو باحداها، ومن حيث نتائجها على اللغة وكيانها، وهى التى خدمها أهلوها بما لم تخدم به لغة غيرها، وحفظوها آلاف السنين سليمة من كل شائبة نقية الجوهر غضة الاهاب، فهى من هذه الوجهة معجزة المعجزات التى لم تتفق الآن للغة أخرى من لغات الكون، وعلينا نحن أبناءها الذين ورثوها هكذا، أن نصونها ونحفظ أمانتها كما ورثناها، حتى نتركها للخلف من بعدنا كما تركها لنا آباؤنا الأولون، وكما وجبت علينا صيانتها من العبث بها أو التفريط فى سلامتها، كذلك يجب علينا أن نرقى بها الى مصاف اللغات العلمية العصرية التى وصل بها أهلوها من العجز الى القدرة، حتى تسع لغتنا سيل العلوم المتدفق، وغيث الفنون المنهمر من سماء المدنية الحاضرة، وتكفل مواردها مختلف المصطلحات، ويكون للناطقين بها من سمو المقام والعاملين بها من رفعة الشأن وعلو الكعب فى سائر العلوم ما لسائر العالم المتحضر، وذلك بامدادها بما هو لازم لها وتحتاج اليه من مدلولات المكتشفات والاختراعات والمبتدعات العلمية والصناعية الغزيرة المتزايدة دوماً على مرّ الأيام، ولنا فى ذلك خمس وجهات نولى وجوهنا شطرها

واحدة بعد أخرى أو نحوها جميعاً بحسب الضرورة ، فلا نلجأ الى أشدها خطراً الا بعد أن نكون قد بذلنا الجهد واستوعبنا الفكر فى استكناه كل وسيلة قبلها، فاذا عجزنا فالضرورات تبيح المحظورات ، وهذه الوجهات أو الوسائل المؤدية للغرض هى بحسب الترتيب المبنى على درجة التسامح أو الحظر الترجمة أولا ، فاذا لم يوجد للفظ الأعجمى مقابل عربى فالاشتقاق ثانيا، فيشتق لفظ من كلمة عربية تؤدى معنى المسمى، فاذاعجزنا فالمجاز ثالثافيتجوز للفظ مجازى بعلاقة فى المعنى بين المسمى والمجاز ، فاذا حصل العجز ينحت للكلمة لفظ مركب من كلمتين تؤدى معناهما مدلول الشيء المسمى، فاذاحصل العجز يعرب اللفظ تعريباً مطابقا لقواعد اللغة وأصول أقيستها وأوزانها ونطق حروفها حتى يشبه اللفظ العربى الفصيح

٢٤ —باب فى القول فى الترجمة

يقال قد ترجم كلامهاذا فسَّره بلسان آخر ومنه الترجُمان ، قال الصلاح الصفدى وللتراجمة فى النقل طريقان ، أحدهما هو أن ينظر الى كلمة مفردة من الكلمات الأعجمية وما تدل عليه من المعنى فيثبتها ، وينتقل الى الأخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه ، وهذه الطريقة رديئة لوجهين ، أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات الأعجمية ، ولهذا يقع فى خلال هذا النقل كثير من الألفاظ الأعجمية على حالها ، الثانى أن خواص هذا التركيب والنِّسَب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما ، وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات .

الطريق الثانى فى الترجمة هو أن يأتى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سـواء ساوت الألفاظ أم خالفتهـا ، وهذا الطريق أجود .

هذا هو رأى الصلاح الصفدى فى النقل ولـكنه ذهب فى الرأيين الى النهاية وأرى التوسط بينهما أفضل ، وهو أن يتفهم الناقل معنى الـكلمات منفردة أولا ثم يحصل معنى الجملة فى ذهنه ويرتب الترجمة حسب الأسلوب العربى فى الـكتابة

دون أن يترك لفظاً أو اصطلاحا قد تكون له صفةٌ ما فى الموضوع ، فلا يكون قد ترجم ترجمة حرفية تنبو عن الذوق العربى ، ولا تصرف فيها فيهمل ألفاظاً قد يتغير باهمالها مجرى الكلام كما يريده مؤلفه ، وحروف المعانى والأفعال الأعجمية وأسماء المعانى كلها تترجم الا اذا جرت مجرى العَلَم أو كانت جزءاً من العلم فهى والأعلام كلها تعرب ، وأسماء الذوات تترجم الا اذا لم يوجد لها مقابل فتعرب

٢٥ — باب في القول فى الاشتقاق

اذا لم يوجد للكلمة الأعجمية مقابل فى العربية يشتق لها لفظ عربى ، وفى اللغة اشتقاق الشىء بنيانه من المُرْتَجَل ، واشتقاق الكلام الأخذ فيه يميناً وشمالا ، واشتقاق الحرف أخذه منه ، والاشتقاق قياس فى لغة العرب ، قال أحمد بن فارس أجمع أهل اللغة الا من شذّ عنهم أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر تقول العرب للدرع جُنَّة وأَجَنَّهُ الليلُ وهذا جنين أى هو فى بطن أمه أو مقبور ، وأن الانس من الظهور يقولون آنست الشىء أبصرته ، وعلى هذا سائر كلام العرب

والاشتقاق فى الاصطلاح هو أن تأخذ من أصل فرعاً يوافقه فى الحروف وتجعله دالاً على معنى يوافق معناه ، وقال فى شرح التسهيل الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى على اتفاقهما معنى ومادةً أصلية وهيئة تركيب لها ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفتا حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذِر من حَذَر وهكذا من تقليب تصاريف الكلمة ، وهو الاشتقاق الأصغر المحتج به فى اللغة وأما الاكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة مثل قَوَل ، وَقَل ، وَلَق ، لَقَو وتقاليبها ، وهذا ليس معتمدا فى اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق فى لغة العرب .

وقال ابن جنى : الاشتقاق عندى على ضربين كبير وصغير فالصغير ما فى أيدى الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلا من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وان

اختلفت صيغته ومبانيه ، وذلك كتركيب س ل م فانك تأخذ منه معنى السلامة فى تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة ، والسليم اللديغ أطلق عليه تفاؤلا بالسلامة ، وعلى ذلك بقية الباب اذا تأولته ، وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلا من الاصول فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وان تباعد شىء من ذلك رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل اليه ، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك فى التركيب الواحد ، وذلك نحو ك ل م ك م ل م ل ك م ك ل ل ك م ل م ك والمعنى الجامع لهذه التراكيب القوة والشدة وكذلك ق و ل ق ل و و ق ل و ل ق ل ق و ل و ق والمعنى الجامع لهذه التراكيب الخفوق والحركة ، وهذا أعوص مذهبا وأحزن مضطربا ، وقال الشريف الجرجانى فى تعريفاته ، الاشتقاق نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما فى الصيغة ، والصغير أن يكون بين اللفظين تناسب فى الحروف والترتيب نحو ضرب من الضرب ، والكبير أن يكون بين اللفظين تناسب فى اللفظ والمعنى دون الترتيب ، نحو جذَب وجبَذ ، والأكبر أن يكون بين اللفظين الترتيب فى المخرج نحو نَعَق ونَهَق

والتغيرات التى تحصل فى الكلمة عند الاشتقاق بين الأصل المشتق منه والفرع المشتق خمسة عشر: الأول زيادة حركة كالعَلَم وعَلِم، الثانى زيادة مادة كطالب وطَلَب ، الثالث زيادتهما كضارب وضَرْب ، الرابع نقصان حركة كالفرَس من الفرْس ، الخامس نقصان مادة كثبت وثبات ، السادس نقصانهما كنَزَا ونزوان ، السابع نقصان حركة وزيادة مادة كغضبى وغضب ، الثامن نقصان مادة وزيادة حركة كحرم وحرمان ، التاسع زيادتهما مع نقصانهما كاستنوق من الناقة ، العاشر تغاير الحركتين كبطِر بَطَراً ، الحادى عشر نقصان حركة وزيادة أخرى وحرف كاضرب من الضرب ، الثانى عشر نقصان مادة وزيادة أخرى كراضع من الرضاعة الثالث عشر نقص مادة بزيادة أخرى وحركة كخاف من الخوف لان العين ساكنة فى خوف لعدم التركيب ، الرابع عشر نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط كعِدْ من الوعد فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة ، الخامس عشر نقصان حركة

وحرف وزيادة حرف كفاخر من الفخار نقصت ألف وزادت ألف وفتحة

وفى الارتشاف : الأصل فى الاشتقاق أن يكون من المصادر ، وأصدق ما يكون فى الأفعال المزيدة والصفات منها وأسماء المصادر والزمان والمكان. ويغلب فى العَلَم ، ويقل فى أسماء الأجناس كغُراب يمكن أن يشتق من الاغتراب وجَراد من الجرد ، والأعلام غالبها منقول بخلاف أسماء الأجناس، فلذلك قل أن يشتق اسم جنس لانه أصل مرتجل ، فان صح فيه اشتقاق حمل عليه كغراب من الاغتراب

وقد اشتقوا حديثاً مستشفى مكان الشفاء ومتحفاً مكان التحف ومصرفاً مكان الصَرْفى و مَلْعَباً مكان اللعب الخ

اما الاشتقاق من المعرب فقد سئل فيه بعض العلماء عما عرّبته العرب من اللغات واستعملته فى كلامها ، هل يعطى حكم كلامها فيشتق ويُشتق منه ، فأجاب بما نصه : ما عربته العرب من اللغات من فارسى ورومى وحبشى وغيرها وأدخلته فى كلامها على ضربين ، أحدهما أسماء الأجناس كالفرند والابريسم واللجام والآجُر والباذق والقسطاس والاستبرق ، والثانى ما كان فى تلك اللغات علماً فأجروه على علميته كما كان ، لكنهم غيروا لفظه وقرّبوه من ألفاظهم وربما ألحقوه بأبنيتهم وربما لم يلحقوه ، ويشاركه الضرب الاول فى هذا الحكم لا فى العلمية الا فى أنه ينقل كما ينقل العربى . وهذا الثانى هو المعتدُّ بعجمته فى منع الصرف بخلاف الأول وذلك كابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء الا ما استثنى منها من العربى كهود وصالح ومحمد صلعم ، وغير الأنبياء كبيرُوز وتكين ورُستَم وهُرْمُز ، وكأسماء البلدان التى هى غير عربية كإصْطَخْر ومَرْو وبَلْخ وسَمَرْقَنْد وقُنْدُهار وخُراسان وكِرْمان وكُوزكُنان وغير ذلك ، فما كان من الضرب الأول فأشرف أحواله أن يجرى عليه حكم العربى فلا يتجاوز به ، فقول السائل يشتق جوابه المنع لأنه لا يخلو أن يشتق من لفظ عربى أو عجمى مثله ، ومحال أن يشتق العجمى من العربى أو العربى منه لان اللغات لا تشتق الواحدة منها من الأخرى ، وانما يشتق من اللغة الواحدة بعضها من بعض، لأن الاشتقاق

تناج وتوليد ، ومحال أن تلد المرأة الا انساناً ، وقول السائل ويُشْتَق منـه فقد يجرى على هذا الضرب المُجْرِيِّ مَجْرَي العربى كثير من الأحكام الجارية على العربى ، من تصرف فيه واشتقاق منه كاللجام ، فانه معرب من لغام وقد جمع على لُجُم ككتب وصغر على لجَيْم ، وأتى الفعل منه بمصدر وهو الالجام وقد ألجمه وهو مُلْجَمٌ وغير ذلك ، وجملة الجواب أن الأعجمية لاتشتق أى لايحكم عليها أنها مشتقة وان اشتق من لفظها ، فاذا وافق لفظ أعجمى لفظاً عربياً فى حروف فلا تَرَيَن أحـدهما مأخوذاً من الآخر كاسحاق ويعقوب فليسا من لفظ أسحقه الله اسحاقاً أى أبعـده ولامن اليعقوب اسم الطائر وكذا سائرما وقع فى الاعجمى موافقاً لفظ العربى

على هـذا المثال جرى الأقدمون فى الاشـتقاق فى الاسم المعرب ، فقالوا هندس ودرهَـمَ وخنْدَقَ وقرطَسَ . وجرى المعاصرون فى اشتقاق كَهْرَبَ وكهربائية من الـكَهْرُباء ومَغْنَطَ ومغناطيسيه من المِغْناطيس أو المَغْنَطيس أوالمغنيطس ، ويريدون اشتقاق أكْسَدَ من المعرب أكْسِيدْ بمعنى الحامض

على أن أقيسة الاشتقاق هى معلومة فى اللغة وليس لنا أن نتعداها الى ماليس له قياس أو الى ما لايشتق منه كما نبه اليه أئمة اللغة ، قال أحمد بن فارس . وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه ، لان فى ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ، ونكتة الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن

٢٦ ــ باب القول فى المجاز

اذ لم يتم التوفيق فى النقل الى ايجاد لفظ تترجم به الـكلمة الأعجمية أو الى أن تشتق لها كلمة تقابلها فى المعنى يرجع الى المجاز الذى هو مقابل للحقيقة فى وضع تلك الـكلمة العربية .

والمجاز كما قال أحمد بن فارس مأخوذ من جاز يجوز اذا استَنَّ ماضياً ، تقول جاز بنا فلان ، وجاز علينا فارس ، هذا هو الأصيل ، ثم تقول يجوز أن تفعل

كذا أى ينفذ ولا يرد ولا يمنع ، وتقول عندنا دراهم وَضَحٌ وازنةٌ وأخرى تجوز جواز الوازنة ، أى أن هذه وان لم تكن وازنةً فهى تجوز مجازها ، وجوازها لقربها منها ، فهذا تأويل قولنا « مجاز » أى أن الكلام الحقيق يمضى لِسُنَنِه لا يُعْتَرض عليه

قال أبو حيان فى الارتشاف(١) « وأما صاحب النهاية وهو أبو المعالى الموصلى ابن الخباز فذكر رسما للحقيقة « وهو لفظ يستعمل لشىء وضع الواضع مثله لمثله لا عينه لعينه ، كالأسد لليث ، ثم قال وعلامتها سبق الفهم الى معناها ، وقال « المجاز لفظ يستعمل لشىء بينه وبين الحقيقة اتصال وذلك كاتصال « التشبيه » كاستعمال الأسد للشجاع ، واتصال « السبب » كاستعمال السحاب للنبات ، واتصال « البعضية » كاستعمال الحافر لذى الحافر ، واتصال « الكلية » كاستعمال العالم لبعضه ، أو اتصال « العموم » كاستعمال الحجر للياقوت ، أو اتصال « الخصوص » كاستعمال السيف للسلاح ، أو اتصال « الاضافة » كاستعمال القرية لأهلها ، أو اتصال « الاشتمال » كاستعمال الشىء لما هو مشتمل عليه نحو الغائط للقذرة ، والخيل للفرسان ، والسلاح للمسلح ، والثوب للابس فى قوله سلب زيد ثوبه ، وليس فى الدار الا الأوارى ، ولم ينج فلان فى الحرب الا فرسه .

ولا يدخل المجاز بالذات الا على أسماء الأجناس ، وأما أسماء الاعلام المرتجلة فلا مجاز فيها ، لأنها لم تنقل لعلاقة ، فيرى من ذلك الباب رحب صدر اللغة العربية وسعة حيلتها فى وضع الأسماء لمدلولاتها حتى تكاد تكون حقيقة لا مجازاً ، وبذلك دفع كثير من الحرج فى اللذة عن النقلة والمترجمين ، وعلى هذا النسق وضع المعاصرون فى أيامنا اسم الدارعة أو المدرّعة للسفينة الملومة وغوّاصة كذلك وطيارة وسيارة للأوتوموبيل وحافلة للأمنيبوس الخ

(١) — نسخة مخطوطة بالمكتبة الملكية

٢٧ — باب فى القول فى النحت

الوجه الرابع من وجوه نقل الكلمات الاعجمية التى لا مقابل لها الى العربية النحت

والنحت فى اللغة النشر والقشر ، والنحت نحت النجار الخشب وَيَنْحِتُها وَيَنْحَتُها

والعرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة كما ينحت النجار خشبتين ويجعلهما خشبة واحدة ، وهو جنس من الاختصار ، وذلك مثل حيعل من قوله حى على ومثل قول العرب للرجل الشديد ضِبَطر من ضَبَطَ وضَبَرَ وصَهْطَلَق من صَهَل وَطَلَقَ وَصَلْدَم من الصلد والصدم ، والمنحوت من كلام العرب الذى وقع فى اللغة كثير مثل شقَحْطب من شق حطب، والبسملة اذا أكثر من قول بسم الله، والهيللة اذا أكثر من قول لا اله الا الله ، والحوقلة اذا أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ، والحمدلة اذا أكثر من قول الحمد لله ، والجعفدة أى جعلت فداك ، والسبحلة من سبحان الله ، والحيعلة من قول المؤذن حىّ على الصلاة حىّ على الفلاح ، والطلبقة من قول القائل أطال الله بقاءك ، والدمعزة من قولهم أدام الله عزك، وحسبل من قول القائل حسبى الله، والمشكنة من قولهم ماشاء الله كان ، والسمعلة من قولهم سلام عليكم ، ومن النحت المنسوب عَجَمْضِىّ وهو ضرب من التمر وهما اسمان جعلا اسما واحداً وهما عجم أى النوى وضاجم اسم واد معروف ، وعبشمىّ نسبة الى عبد شمس ، وعبدرىّ نسبة الى عبد الدار ، وعبقسىّ نسبة الى عبد القيس، ومرقسىّ فى امرئ القيس ، وتيملى فى تيم الله ، وقالوا فى النسبة الى الشافعى وأبى حنيفة شفعنىّ ، والى أبى حنيفة مع المعتزلة حنفلتىّ ، وكذلك قالوا من أنواع النحت بلحارث لبنى الحارث ، وبلهجيم لبنى الهجيم ، وبلعنبر فى بنى العنبر للتخفيف لقرب مخرجى النون واللام وقالوا خراطين للدود من خرء الطين .

باب القول فى التعريب

التعريب والاعراب فى اللغة معناهما واحد وهو الابانة والافصاح يقال أعرب عن لسانه وعرّب أبان وأفصح (١) ، وتعريب الاسم الأعجمى أن تتفوّه به العرب على مناهجها تقول عرَّبَتْهُ العرب وأعربته أيضاً (٢) ، والمعرب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها

قال المرزوقى فى شرح الفصيح : المعربات ما كان منها بناؤه موافقاً لأبنية كلام العرب يحمل عليها ، وما خالفت أبنيتهم منها يراعى ما كان الفهم له أكثر فيختار ، وربما اتفق فى الاسم الواحد عدة لغات (٣) ، وقال سلامة الأنبارى فى شرح المقامات ، وكثيراً ما تُغير العرب الأسماء الأعجمية اذا استعملتها

والأسماء الأعجمية على ثلاثة أقسام ، قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها فحكم أبنيته فى اعتبار الأصل والزائد والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو درهم وبَهْرَج ، وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها فلا يعتبر فيه ما يعتبر فى القسم الذى قبله نحو آجُر وسيسَنْبر ، وقسم تركوه غير مغير ، فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يُعَدَّ منها ، وما ألحقوه بها عُدَّمنها ، مثال الأول خراسان لايثبت به فعالان ، ومثال الثانى خُرَّمَ أُلحِقَ بِسُلَّم وكركم ألحق بقُمْقُم (٤)

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الألسنة فى أسفارهم فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها واستعملتها فى أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربى الفصيح ووقع بها البيان (٥)

وفى اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير مما لايجحده جاحد ولا يخالف فيه مخالف ، وكذلك فى القرآن الشريف ، اذ سقطت الى العرب تلك الكلمات فاعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلام العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق

(١) اللسان (٢) تاج اللغة (٣) المزهر (٤) الارتشاف (٥) الاتقان فى علوم القرآن

فهى عجمية باعتبار الأصل عربية باعتبار الحال

والمعرَّب يطلق عليه دخيل

فى دلائل الاسم المعرَّب

يعرف الاسم المعرب بالوجوه الآتية : ـ أحدها النقل بأن ينقل ذلك أحد أئمة اللغة ، والثانى خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو ابْرِيسَم فان مثل هذا الوزن مفقود فى أبنية الأسماء فى اللسان العربى ، والثالث أن يكون أوله نون ثم راء نحو نرجس ، فان ذلك لا يكون فى كلمة عربية ، الرابع أن يكون آخره زاى بعد دال نحو مهندز ، فان ذلك لا يكون فى كلمة عربية ، الخامس أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو الصولجان والجص ، السادس أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو المنجنيق ، السابع أن يكون خماسياً ورباعياً عاريا عن حروف الزلاقة ، وهى الباء والراء والفاء واللام والميم والنون ، فانه متى كان عربيا فلا بد أن يكون فيه شىء منها نحو سفرجل وقذعمل وقرطعب أو جحمرش (قال السيوطى هذا ما جمعه أبو حيان فى شرح التسهيل)

وقال الفارابى فى ديوان الأدب مثل هذا القول ، وزاد عليه أن الجيم والتاء لا تجتمعان فى كلمة من غير حرف زلقى ، والجيم والطاء لا يجتمعان فى كلمة واحدة ولهذا كان الطاجن والطجين مولدين

وقال البطليوسى فى شرح فصيح ثعلب ، لا يوجد فى كلام العرب دال بعدها ذال الا قليل ، ولذلك أبى البصريون أن يقولوا بغداذ باهمال الدال الاولى واعجام الثانية

وقال ابن سيده فى المحكم ليس فى كلام العرب شين بعد لام فى كلمة عربية محضة ، الشينات كلها فى كلام العرب قبل اللامات

فأما أمثلة المعرب فأحسنها ما بنى من الحروف المتباعدة المخارج ، وأخف الحروف حروف الزلاقة ، وهى ستة ، ثلاثة من طرف اللسان وهى الراء والنون واللام ، وثلاثة من الشفتين وهى الفاء والباء والميم ، ولهذا لايخلو الرباعى والخماسى

منها ،الا ما كان من عسجد فان السين أشبهت النون للصفير الذى فيها والغنّة التى فى النون . فاذا جاءك مثال خماسى أو رباعى بغير حرف أو حرفين من حروف الزلاقة فاعلم أنه ليس من كلامهم (١) وقال الفرّاء يبنى الأسم الفارسى أى بناء كان اذا لم يخرج عن أبنية العرب

هذا حال المعرب فى تركيبه واعتباره وخصائصه وحكمه . والمعرب هذا كثير فى كلام العرب وفى علوم العرب قديما وحديثا . والاقتباس عام بين اللغات لا تستغنى عنه أى لغة ما دام العلم مشاعا بين الأمم ، وما دمنا على أبواب العلم وما أوتينا منه الا القليل فهو دائما فى نمو وازدياد ، ولا بد أن تزداد معه المصطلحات والمسميات فالتعريب اذاً ضرورى لحياة العلم ، ومتى كانت القيود الموضوعة له هى كما بينا وتبينه بعد أيضا فلا خوف منه على كيان اللغة ، فانما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرفها ونحوها و بيانها وشعرها وخصائصها التى تمتاز بها ، لا ببضع مفردات غريبة عنها قد التجأت اليها فكسيت بكسائها وطليت بطلائها حتى أصبحت منها وعليها

وكتب العلوم فى اللغة العربية ككتب الفلك والطب والنبات والرياضى والطبيعى والأحجار والتاريخ والجغرافيا والسياسة وتدبير الملك ومصطلح الدواوين مشحونة بالمعرب والدخيل ، مما حدت كثرته ببعض علماء المستشرقين الى وضع ذيول للمعاجم العربية ، حوت ما بطنت أسفارها وما تفرق فى كنوز علومها من كل غريب عنها دخيل فيها ، كذيل المعاجم العربية للمستشرق الكبير راينهارت دوزى

1 Supplément aux dictionnaires arabes, par R. Dozy, Leyde 1818.

ووضع كذلك كثير من المصنفات الخاصة بالدخيل على اللغة العربية مثل
١ — كتاب الكلمات الآرامية الدخيلة على العربية تأليف سيجموند أفرنكل

(١) — كتاب المعرب من الكلام الأعجمى للجواليقى

1 Die aramaïschen fremdwörter im arabischen, von Siegmond Fraenkel, Leiden 1886.

٢ ـ فى الكلمات الدخيلة فى القرآن تصنيف الدكتور رودلف أدفوراك

2 Ueber die fremdwörter im korân, von Dr. Rudolf Dwôràk, Wien 1885.

٣ ـ فى بعض ألفاظ الشعر العربى القديم والقرآن طبع فى ليدن

3 De Vocabulis in antiquis arabum carminibus et in corano peregrinis, publice defendet Sigismundus Frankel, Lugdini Batavorum 1880.

وكذلك وضع علماء العرب المصنفات المختلفة فى الدخيل والمعرب نذكر منها

١ كتاب المعرب من الكلام الأعجمى تأليف الشيخ الأجل الامام الأوحد العالم أبى منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى طبع فى ليبسيك وفى مصر

٢ كتاب شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجى طبع فى مصر

٣ رسالة فى تعريب الألفاظ الفارسية لابن كمال باشا طبعت فى مصر

٤ كتاب المعَرَّب من القرآن للشيخ حمزة فتح الله طبع فى مصر

٥ كتاب التقريب لأصول التعريب للشيخ طاهر بن صالح الجزائرى طبع مصر

٦ كتاب الاشتقاق والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المغربى طبع مصر

٧ نبذة فى التعريب مقدمة لالياذه أوميرُس ترجمة سليمان البستانى

٨ وفى كتاب الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى فصل كبير فيما وقع فى القرآن بغير لغة العرب طبع مصر

٩ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدّى شير طبع فى بيروت

ولم يقتصر الامر عند مستشرقى أوروفا على جمع المعرب والدخيل على العربية بل عمدوا كذلك الى ذكر الدخيل من العربية أو الفارسية والتركية على لغاتهم والمصنفات فى هذا النوع كثيرة جداً نذكر بعضها فمنها

١ — كتاب الأب لامنص فى الألفاظ العربية والفارسية والتركية الدخيلة على الفرنسية

1 Rémarques sur les mots français dérivés de l'arabe, par Henri Lammens.

٢ — ذيل معجم ليتريه تأليف مرسل دفيك

2 Supplément du dictionnaire de la langue Française, par Marcel Devic, Paris 1881.

٣ — معجم دوزى فى الكلمات الاسبانية والبرتقالية المقتبسة من العربية

3 Glossaire des mots espagnols, portugais dérivés de l'arabe, Leyde 1869.

٤ — الألفاظ السامية الدخيلة فى اليونانية تأليف هنريش ليفى طبع برلين سنة ١٨٩٥

4 Die Semitischen fremdwörter im Griechichen. von Dr. Heinrich Lewy, Berlin 1895.

٥ — معجم تصريف الكلمات الافرنسية المأخوذة عن العربية والفارسية والتركية تأليف فيهان طبع باريس سنة ١٨٦٦

5 Dictionnaire étymologique des mots de la langue française dérivés de l'arabe, du Persan ou du Turc, par A. P. Pihan, Paris1866.

٦ — فى بعض الكلمات الرومانية التى هى من أصل عربى أو تركى أو فارسى أو عبرى تأليف غورغى فوفسقو قيوقانل طبع باريس سنة ١٩١٧

6 Quelques mots roumains d'origine arabe, turque, persane et hebraïque par Gheorghe Popesco Ciócanel, Paris 1907.

٧ — نبذة فى أصول الالفاظ السامية كالعربية والسريانية التى دخلت فى اللغات الايتاليةوالاسبانيةوالافرنسية والانكليزية واليونانية واللاطينية وبالعكس

تأليف القس طوبيا العنيسي الحلبي اللبناني طبع رومة سنة ١٩٠٩ .

7 Ethymologie semitische, Roma 1909.

فصل فى حكم التعريب

فالتعريب هو آخر ما يلتجأ اليه فى النقل عند مالا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الأعجمية أو يشتق منها اسم أو فعل أو يتجوز منها مجاز أو ينحت منها لفظ ، فحكم الناقل هنا حكم المضطر يركب الصعب من الأمور ولا ضير عليه وقتئذ

واللفظ المعرب يتبع قواعد التعريب فى بنائه وتركيبه سواء أشبه العربى من كل وجه ، أو حفظ ما يدل على أعجميته

والمترجم تعترضه فى بعض الاحيان من المصاعب ما يحير الفكر ، فقد يصادفه لفظان أعجميان أحدهما يونانى الأصل والثانى لاطينى وكلاهما متحدان فى المعنى الأصلى ولكن مدلولاهما مختلفان ، مثل كلمتى thyrosis و thyrosin, هما بمعنى الجُبْن والجُبْنية باليونانية وتطلقان على مادة منعقدة ناشئة عن انحلال المواد الأولية proteine وكلمتى Caseation, Caseine هما لاطينيتان بمعنى الجبن والتجبن وتطلقان على نوع زلال هو أهم عنصر أولى فى اللبن ترسّبه الأحماض والانفحة ، فالمدلولان مختلفان والكلمات متحدة فى المعنى الأصلى لنص الكلمة كأن واضعها ضاقت بهم الحيل لايجاد ألفاظ لمكتشفاتهم فعمدوا الى ذلك فما دام النطق مختلفاً والصورة غير الصورة فالالتباس مدفوع ، فلو أراد مريد الترجمة فكيف يكون العمل ، فاذا ترجمت الكلمات بلفظ الجبن التبس الأمر وضاعت حقيقة العلم ، فعندئذ يكون الأصوب ترجمة احدى الكلمتين بمعناها الأصلى وهى Caseine الجبنية وأما الثانية فيبحث لها عن لفظ بالوسائل التى ذكرناها وعند العجز تعرب فيقال طورازين مثلاً ، كذلك تعترض الناقل أسماء النبات مما ليس له مقابل فى العربية أو كان اسم النبات مأخوذاً من اسم مكتشفه فهذا النبات يسمى بأحد أوصافه أو خصائصه كما فعل اليونان فى تسمية كثير من النبات اذ قالوا Aristolochie ومعناه الفاضل

للنفساء لانه كان يعطى للنفساء ، وقالوا polypode كثير الأرجل ، و Apios الحدق لانه يشبه الحدقة ، Echium رأس الأفعى ؛ Myosotis آذان الفار ، Buglosse لسان الثور ، cynoglosse لسان الكلب و hippoglossum لسان الفرس ، Orobanche خانق الكرسنة وهو الهالوك بمصر ، Buphthalmon عين البقر ، Staphysagra زبيب الجبل ، الخ مما لا يحصى ، كذلك فعلت العرب فى تسمية النبات فقالت أحداق المرضى وآذان الفار وآذان الفيل وآذان الأرنب وآذان الجدى وأصابع الفتيات وأظباء الكلبة لشبهها لمسمياتها ، وبصل الفار قيل أنه يقتل الفار ، وبقلة خراسانية لكثرتها فى خراسان ، وبقلة الضب قيل أنها تقتل الضب ، والبقلة الحمقاء لنبتها فى ممر المياه ، والحالبى لأنه يشفى أورام الحالب ، وحب الفقد لانه يفقد النسل فيما زعموا ، وحشيشة السنور لأن السنانير اذا رأتها فرحت ، وحشيشة السعال ، وحشيشة الأفعى تقتل الثعابين وخانق الذئب والنمر ، وخروب مصرى وهو القرظ وخصى الكلب له أصل شبيه بالخصى ، وخصى الثعلب مثله وخلال مأمونى وهو الاذخر لأن المأمون كان يتخلل به . وذنب الخيل . وذنب الفارة وذو ثلاث حبات . وذو خمسة أصابع . وذو ثلاث ورقات . وذو ألف ورقة . وذو ثلاث شوكات. وذو مئة شوكة . وذو مئة رأس . ورجل الغراب لان ورقه يشبه رجل الغراب . وزنجبيل الكلاب بقلة تقتل الكلاب . وزيتون الأرض لأن ورقه يشبه ورق الزيتون . وسم السمك لانه يقتل السمك . وشجرة الحيات لانها تأوى اليها . و شقائق النعمان سمى بذلك لأن النعمان ابن المنذر حين ولى الحيرة كان يعجبه فنقل اليه ما أملا به البادية وكان يسكنها فى زمانه ويسمى الشقيق ، وشوكة عربية ، وشوكة يهودية ، وشوكة بيضاء ، وشوكة زرقاء ، وشوكة منتنة ، وظفر النسر ، وعصى الراعى يشبه غصنها عصى الراعى ، وعنب الذئب ، وعنب الثعلب ، وعود العطاس ، وفلفل القرود ، وقاتل النحل ، وقاتل العلق ، وقاتل أبيه ، سمى بذلك لأن نبته لايجف حتى يطلع آخر ، وقاتل أخيه وهى خصى الثعلب سمى بذلك لأن أصله شبه زيتونتين احدا هما ممتلئة والأخرى متشنجة فتظهر المتشنجة وتمتلئ وتتشنج

الممتلئة وتذهب ، وقاتل نفسه لأنه يأكل نفسه ويفنى وقثاء النعام وهو الحنظل وكرمة بيضاء وكرمة سوداء وكرمة شائكة وكزبرة البئر وكف الضبع وكف الهر ، وكف مريم ، وكوكب الأرض شجرة تضئ بالليل ، ولسان الثور ورقه كلسان البقر خشونة ، ولسان العصفور ولسان السبع ولسان الكلب وليف البحر ، ومصلح الأنظار لأنه يقوى النظر ومزمار الراعى ومسواك القرود سميت بذلك لأنها تصبغ الفم اذا استيك بها كما يعرض للقرود ، مشط الراعى ، ممسك الأرواح ، ورد الحمير ، ورد منتن الخ مما لا يعد

وهناك طريقة أخرى أعم نفعاً وأسهل عملاً وهى أن يؤتى بالنبات الغريب مما لا اسم له فى العربية ويستنبت فى أمكنة مختلفة من البلد ويترك للفلاح يسميه بحسب ما يجول فى ذهنه مما يراه من صفات أو مميزات للنبات وأظن أنه قد حصل ذلك كثيراً فى الأيام الأخيرة فى مصر ، اذ استجلبت الى مصر نباتات كثيرة وبُلِّدَت ولم تكن لها غير أسمائها الأعجمية ، فسماها الفلاح أبا خنجر ، وأبا الركب وأبا عين صفراء ، وست الحسن ، وطرطور الباشا الخ من الأسماء التى خطرت فى الذهن متناسبة مع صفات أو خواص النبات

أما المصطلحات الكيمائية فأسماء المعانى فيها تترجم ولو بكلمتين وأما أسماء الأجناس من العناصر فتترجم او يشتق لها اسم من أحدى صفاتها أو خصائصها كما فعل فى البنات ، واذا اكتسب الاسم الأعجمى شكل العلمية أى صار كاسم العلم فانه يعرب حفظاً لمنزلته العلمية وانسجام المعانى

واما الزيادات والاضافات المميزة للأجسام بعضها من بعض فى أحوالها المختلفة فهى نوعان فما كان منها دالاً على النسبة فانه يلحق به علامات النسبة العربية وما كان دالاً على صفة فيرسم كذلك مثل

حامض الكبريت	بدلاً من	حمض كبريتيك		acide sulfurique
الحامض الكبريتى	«	«	كبريتوز	acide sulfureux
حامض الأزوت	«	«	أزوتيك	acide azotique
حامض أزوتى	«	«	أزوتوز	acide azoteux

حامض الكلور بدلاً من حمض كلوريدريك acide chlorhydrique
حامض كلورى « « « كلوروز acide choreux

وأما الزيادات الدالة على تنويع العناصر فانها تعرب كما هى مثل amin methyl, ol, al, amide, الخ والألفاظ العددية تترجم مثل di , tri mono الخ فانه يقال فيها مفرد وثنائى وثلاثى أو المثلث الخ بحسب ذوق التركيب

ولما كان علم الكيمياء هذا بحر لاقرار له وألفاظه كلها مرتبطة بعضها ببعض فانه يحسن دائما الهوادة فى وضع ألفاظة وعدم العجلة فى التسمية، والتعريب فى أكثر ألفاظه محمود، والا اختلط الأمر وضاع العلم، فان مايحسن ترجمته فى موضع قد يقبح جداً فى موضع آخر ولا يصلح له الا التعريب وهذه مسألة يحلها الذوق

فى بدء النهضة العربية كان النقل يكاد يكون محصوراً فى اللغتين الفارسية واليونانية فضلا عن السريانية التى هى شقيقة العربية وكان النقل أقل من ذلك من الهندية مباشرة ، فكانت تترجم الكتب الهندية الى الفارسية ومن الفارسية الى العربية ، والآن أصبح النقل من الفارسية معدوما وأعنى نقل كتب العلم العصرى وقد اقتبست العربية من الفارسية ما احتاجت اليه ولم يبق فى الفارسية شىء جديد يؤخذ عنها ، وهى نفسها فى حاجة الى الأخذ عن العربية فيما يختص بالعلم العصرى ، وأما اللغة اليونانية لغة العلم والحكمة فى العصر القديم ، فقد حل محلها الآن لغات أوروفا، فاستبدلت هذه اليوم بتلك اللغة فالاقتباس يقع الآن من لغات أوروفا كالفرنسية والانكليزية والألمانية والطليانية الخ وان كانت هذه اللغات الى الآن تأخذ ألفاظها من معين اليونانية واللاطينية

وعليه فاننا سنذكر فيما يلى كيف كانت العرب تعرب الأسم الأعجمى وتنقله الى لغتها ، وهو ما قصدناه بكتابنا هذا وقد وصلنا اليه بالمطالعة الكثيرة ، والاستقراء المتواصل ، حتى اهتدينا الى أصول يمكن اتخاذها قواعد ثابتة للتعريب يقاس عليها ويجرى على نسقها ، وذكرنا عند الاقتضاء كل خاصية من خصائص

نشره العربية يمكن تطبيقها والسير عليها فى التعريب ، فأحكمنا بذلك قواعده ونظّمنا أساليبه حتى جعلناه دستورا يتبع فى كل مصر من بلدان الشرق ؛ فتصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الألفاظ فى المصطلحات وكذلك آداب اللغات التى تستمد المعونة من اللغة العربية ، فيسهل العلم وتتوحد مناهجه ويعم نشره باذن الله

٢٩ — باب فى حروف الهجاء ومقارنتها

قدمنا أن من اللغات التى وقع النقل منها الى العربية أكثر من غيرها قديما هى اللغة اليونانية وكان قياس العرب فى التعريب على منطق حروفها ، وعلى ذلك يتعين علينا أن نأتى هنا بالألف باء اليونانية ونردفها بما يقابلها من الحروف اللاطينية وكذلك نطقها بالعربية حتى يسهل تطبيق الحروف عند النقل

ومن المعلوم أن الألف باء اليونانية مأخوذة عن الفينيقية وهذه والعبرية سواء وهى اثنان وعشرون حرفا كما يأتى ا ب ج د ه و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت فأخذ اليونان من هذه الحروف تسعة عشر حرفا وأهملوا منها الواو ، والقاف لشبهها بالكاف والكاف يقابلها عندهم كبّا Kappa (K) وكذلك الصاد أهملت لان الزين تشبهها وتحل محلها زيتا Dzeta (Z) اليونانية والباقى من الحروف الفينيقية التسعة عشر حرفا أضافوا اليه خمسة أحرف وهى ω ψ χ φ υ فصارت حروف الألف باء اليونانية أربعة وعشرين حرفا نبينها فى الجدول الآتى :

الحروف اليونانية	الحروف اللاطينية	النطق بالحروف اللاطينية	النطق بالعربية
Α α	a	Alpha	ألفا
Β β	b	Vêta	فيتا
Γ γ	g	Gamma	غمّا
Δ δ	d	Dselta	ذلتا
Ε ε	é courte	Épsilon	أبسيلون
Ζ ζ	z	Dzêta	زيتا
Η η	è longue	êta	ايتا
Θ ϑ	th	Thêta	ثيتا
Ι ι	i	Iôta	يوتا
Κ κ	k	Kappa	كبّا
Λ λ	l	Lambda	لمذا
Μ μ	m	Mu	مو
Ν ν	n	Nu	نو
Ξ ξ	x	Xi	كسي
Ο ο	o courte	Omikron	أوميكرون
Π π	p	Pi	بي
Ρ ρ	r	Rhô	رو
Σ σ	s	Sigma	سيجما
Τ ς	t	Taf, Tau	تاو
Υ υ	u	Upsilon	أوبسيلون
Φ φ	ph	Phi	في
Χ χ	ch	Chi	خي
Ψ ψ	ps	Psi	بسي
Ω ω	ô longue	Omêga	أوميجا

٣٠ — باب فى قواعد التعريب

تذكر فى هـذا الفصل قواعـد التعريب كما استنتجناها بالاستقراء بحسب ترتيب حروف الهجاء اللطينية ونسبق كل قاعدة بالخاصيّة من خصائص اللغة العربية التى تنطبق عليها هذه القاعدة متى وجدت هذه الخاصية

الابتداء بالكلمة العربية

خاصية ـ العرب لا تجمع بين ساكنين ولا تبتدئ بساكن الخ

قاعـدة

اذا ابتدأت الكلمة الأعجمية المراد تعريبها بحرف ساكن وذلك كثير فى اللغـات الأعجمية فانه يزاد فى أول الكلمة المعربة همزة قطـع أو يحرك هذا الحرف الساكن بحركة مثاله :

Platon	أفلاطون	Tripolis	أطرابلس او طرابلس
France	أفرنسة او فرنسة	Grenade	أغرناطه او غرناطة
Smyrne	أسمُرنا (أزمير)	Flandre	أفلندر
Thrace	ترَاقى	Plutarque	أفلوطرخس
Français	أفرنسيس او فرنسيس	Ptolomée	أبطلوميوس
Troie	أطرُويا	Stephan	أصطفن
Stoechus	اسطُخُوس (نبات)	chrystophorus	أخرُصطفورُس
Scordium	أسقُرديون (نبات)	Plinius	أفلينيوس
Scincus	أسقَنقور او سقَنقور (حيوان)	Spinacia	أسفناخ (نبات)
		Sponge	أسفنج
Scille	إشقيل (نبات)	Scolopendre	أسقولوفندريون
Crètes	اقريطش	Styrax	إصطرك اوسطرك (نبات)

حرف A

اذا وقع فى أول الكلمة يرسم همزة واذا كان فى وسط الكلمة وبعده حرف ساكن يكتفى بفتح ما قبله واذا كان ما بعده متحركا أو فى الآخر يرسم ألفاً لينة مثال ذلك

Alpes أَلفس (جبل) Appolonie أفلُونيا
Attique أَطيقَ Allemagne ألامانية
Arcadie أرقاديا Anaxagore أنَكْساغورس
Andrea أندرا

ae و ai يرسمان همزة مكسورة أو همزة بعدها ياء فى أول الكلمة ويرسمان ياء فى وسط الكلمة وألفاً فى آخر الكلمة مثاله

Aelianus إليانوس Agathadaemon أغاثاذيمون Lucae لوقا

aö و au يرسمان ألفا مضمومة أو ألفا مفتوحة بعدها واو سواء كانا فى أول الكلمة أو فى الوسط مثاله :

Autolycus أُطولوقس Ménélaus مانالاوس
Chrysaorius خروساوريوس Mauritanie ماوريطانيا

وأحيانا ترسم ao ألفا للتخفيف مثل Laodice لاذيق

و A فى أول الكلمة قد ترسم عينا فى بعض الاحيان للتخفيف مثل Ascalon عسقلان (مدينة يونانية بساحل فلسطين) وهذا بناء على الخاصية الآتية من خصائص اللغة وهى الاختلاف فى ابدال الحروف نحو أن زيداً وعنّ زيداً

حرف B

ينقل هذا الحرف الى العربية باء لأنه فى اللغات الأعجمية يشبه نظيره فى اللغة العربية شبهاً تاماً مثاله

Bérénice بَرَنيقا (بنى غازى) Eusebius أوسابيوس
Probus فُرُوبوس (ملك) Sibylla سيبولاّ (اسم امرأة)

حرف C

هنا الحرف يقابل Kappa K كبًّا فى اليونانية وينطق كافاً فى اللاطينية أيضا وينقل الى العربية قافاً مثال ذلك

Corinthe	قورنتوس	Arcadie	أرقاديا
Cyrène	قورانى	Scythie	سقوتيا
Cyclades	قوقلادس	Anticyre	أنطيقور
Lycie	لوقيا	Syracuse	سوراقوزا
Cyzique	قوزيقس	Canope	قانوفس
Cos	قوس	Ancyre	أنقُرَه
Tacitus	طقيطوس	Cnide	قنيدس
Marcien	مرقيان	Chalcis	خلقيس
Macédoine	ماقذُونية أوماقاذونية	Cyprian	قُفْريان
Niceta	نقيطا	Nicée	نيقية

وفى الكلمات غير اليونانية الأصل اذا كان نطقه كالسين فى لغته يكتب كذلك والحرف المركب CH هو فى اللاطينية يقابل X (خى) فى اليونانية ويحل محله فى جميع اللغات الهندية الأورفية وينقل الى العربية خاء وفى بعض الاحيان كافاً اذا كانت الكلمة يونانية الأصل مثال ذلك

Chios	خيوس	Chalcédoine	خلقذونيه
Chamaepeuce	خامابوقى (نبات)	Chamaesyce	خاماسوقى (نبات)
Chamaedaphne	خامادفنى (نبات)	Chamailea	خالا ا (نبات)
Chamaecissus	خاماقيسُس «	Chamaedrys	كاذريوس (نبات)
Chamaepitus	كافيطوس «	Charaseae	خراسيا (نبات)
Archélaus	أرخيلاوس «	Chrysippe	كروسيفوس
Eutyches	أطوخس	Chrysaorius	خروساوريوس

و ch فى اللغات الأورفية غير اليونانية ينقل شينا اذا كان نطقه كذلك

حرف D

يقابل فى اليونانية حرف Δ (ذلتا) وعليه اذا كانت الكلمة التى فيها هذا الحرف يونانية الأصل يرسم ذالا معجمة واذا كانت غير يونانية الأصل يرسم دالا مهملة ويجوز أن تهمل الذال فى الكلمة اليونانية الأصل وترسم دالا مثاله

Dioscorides ذيوسقوريدس	Théodosius ثاوذسيوس
Macédoine مقدونيا	Olympiade ألومفيذا
Epidémie أبيذيميا أو أفيذيميا	Diocletianus ذيوقلطيانوس
Pindarus فينذارس	Diogène ذيوجانس
Laodice لاذيق	Epididymus أفيذيذومس
Médie ماده	Dioteles ذيوطاليس

حرف E

يرسم هذا الحرف بالعربية همزة اذا كان فى أول الكلمة ، ويرسم ألفا لينة اذا كان فى الوسط وفوقه علامة المد accent ويفتح ما قبله فقط اذا كان خاليا من علامة المد وفى بعض الاحيان يرسم ياء وفى آخر الكلمة يرسم ألفا أو هاء مثاله

Epiphanus أفيفانوس	Elvire ألبيرا
Empédocles أنباذقلس	Erasistratus أراسيسطراطس
Cyréne قورانى	Messéne مسانا
Mégare ماغرا	Timée طيماوس
Pénée فاناوس	Attique أطيقى
Séverianus سوَرْيانوس	Méroe ماروى
Béotie بوطيا	Eratrie أراطريا
Léontius لاونطيوس	Théophile ثاوفيل
Géographe جاوغرافيا (جغرافيا)	Théon ثاوُن

Libye لِيبُوَى — Théodosius ثاوذوسيُوس
Crètes أقريطش — Homère أوميروس
Cléopatre قلاوفطرة — Gregor غريغور

EU هذا الحرف المركب يرسم همزة مضمومة أو بعدها واو وفى الوسط يرسم واواً وقليلا ما يرسم ألفاً مثاله

Eurgates أُرغاطس — Euares أوارس
Europe أوروفا — Euphator أوفاطور
Eusthate أُسطات — Eutyches أُطوخس
Euclide أُقليدس — Theuthron طُوثرُن

حرف F

هذا الحرف فى اللاطينية يقابله Φ فى اليونانية ويرسم فاء بالعربية مثاله

France أفرنسة — Festus فسطوس

حرف G

هذا الحرف يقابله Γ فى اليونانية غمّا ويرسم فى العربية غينا مثاله

Galatia غلاطيا — Mégare ماغرا
Eurgates أورغاطس — Phrygie فروغيا
Anaxagoras أنكسَاغورَس — Norvège نُرْباغه
Agenor أغنَور — Anagallis أناغاليس (نبات)
Anagyris أناغورس (نبات) — Hypoglosson أوبغُلُصُن (نبات)
Agalloche أغالوخى (نبات)

على أن هذا الحرف يجوز نقله الى العربية وابداله كافاً أو قافاً أو جيما بناء على خاصيّة فى اللغة وهى: ان من سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام

بعض فقد ذكر ذلك أحمد بن فارس وسيبويه وابن دريد فى الجمهرة وابن درستويه فى شرح الفصيح ، قال السيوطى فى المزهر الحروف التى يكون فيها البدل فى المعرب عشرة ، خمسة يطرد ابدالها وهى الكاف والجيم والقاف والباء والفاء. وخمسة لا يطرد ابدالها وهى السين والشين والعين واللام والراء فالبدل المطرد هو فى كل حرف ليس من حروفهم كقولهم كربج الكاف فيه بدل حرف بين الكاف والجيم فابدلوا فيه الكاف أو القاف نحو قربق أو الجيم نحو جروب وكذلك فرند هو بين الباء والفاء فرة تبدل منها الباء ومرة تبدل منها الفاء ، وأما ما لا يطرد فيه الابدال فكل حرف وافق الحروف العربية كقولهم اسماعيل أبدلوا السين من الشين والعين من الهمزة وأصله اسمائيل وكذلك قفشليل ابدلوا الشين من الجيم واللام من الراى والاصل قفجليز ، وأما القاف فى أوله فتبدل من الحرف الذى بين الكاف والجيم

وذكر احمد بن فارس ان مثل الحرف الذى بين القاف والكاف والجيم هى من الحروف التى يجوز فيها الابدال وهى لغة سائرة فى اليمن مثل جَمَل اذا اضطروا قالوا كَمَل وقالوا مردكوش ومردقوش ومردجوش وقالوا كندفرى وجاوشير وكاوشير Goudofroy (هذه الكلمات فارسية ماعدا كندفرى سقناها للتدليل)

حرف H

هذا الحرف لا وجود له فى لغة الاغريق ويوجد فى جميع اللغات الأخرى وعليه فانه فى الكلمات المتصدرة بهذا الحرف وأصلها يونانى يهمل هذا الحرف عند نقل الكلمة الى العربية كأنه لم يكن ويعرب بما بعده بحسب القواعد المذكورة وفى غير ذلك ينقل هاء مثاله :

Hipparque إِفَرْخُس	Hostibius أُسطيبيوس
Homère أوميروس	Héraclée أَرَقليا
Hippocrate إِبقْراط	Hellespont أَلَسْبُنْطس

Hellas أَلّلاس	Herostrates أرُسطَراطِس
Hipparchus إِبَّرْخُس أو إِيِقَرْخُس	Hermes أرمِسا
Honorius أُنوريوس	Hostilius أسْطيليوس
Herpyllis أرْبُليس	Hadrianus أذْريانوس

على أن العرب قد أثبتوها فى كلمات قليلة جدا تعد على أصابع اليد فقالوا هرَقُل في Hercule و هِرَقل فى Héraclès وهيرودت فى Hérodote

حرف I

ينقل هـذا الحرف الى العربية همزة مكسورة أو بعدها ياء في الابتداء أو تمثل بكسرة فى الحرف الذى قبلها أو ياء فى الوسط مثاله

Illyrie إِيلوريا	Isocrate إِسوقراطس
Iphicianus إِفيقيانوس	Aristippus أرسطيفوس
Pericles أفرِقلس	Appenin أفّانِن (جبل)
Psophis فسوفِسّ	

حرف J

هذا الحرف يقابل يوتا اليونانيـة وينقل ياء وفى بعض الاحيان يهمل اذا كان فى أول الـكلمة ويعرب الحرف الذى يليه مثاله :

Jovinianus يوبنيانوس	Julianus يوليانُس
Juvenalis يوبنالس	Jamblichus أمْليخوس

حرف K

هذا الحرف ينقل قافا وغالبا كافا مثاله :

Peri Kineseon فارى قينَساون (كتاب الحركات لأرسطو)

حرف L

هذا الحرف يشابه أمثاله فى كل اللغات تقريبا في النطق ويرسم لاما بالعربية مثاله :

Hellespont أَلسَفُنْطُس	Pologne فولونيا
Hellas ألاّس	Alpes ألفس
Apollonie أفلونيا	

على ان اللام والراء هما من الحروف الخمسة التى لا يطرد فيها الابدال كما جاء في الخاصية السابقة التى نص عليها اللغويون، وقد حدث فعلا ان أبدل العرب الراء من اللام عند تعريبهم بعض الأعلام ولكن ذلك قليل جدا مثل Balduin فقالوا بردويل و Roderic قالوا فيه لذريق الخ :

حرف M

هذا الحرف ينطق بشكل واحد في جميع اللغات ويرسم ميما مثاله :

Ménélaus مانالاوس	Allemagne ألامانيا
Thémistius ثامسطيوس	Macédoine ماقاذونية أو مقذونية

حرف N

يرسم بالعربية نونا مثاله :

Néron نارون	Pindares فندارس
Diogène ذيوجانس	Epiphanus أفيفانوس
Ephithimon أفِطيمُن	Honorius أنوريوس
Ancyre أنقُرة	Andrea أندراا

حرف O

يرسم بالعربية ألفا مهموزة مضمومة أو ألفا و واواً اذا كان فى أول الكلمة وواواً فقط اذا كان فى الوسط أو فى آخر الكلمة مثاله :

Ostanes أُسطانس	Oribasius أوريباسيوس
Olympius أولُفيوس	Théophile ثاوفيل
Porphyrius فورفوريوس	Hastibius أسطيبيوس
Protagoras فروطاغورَس	Chrysaorius خروساوريوس
Oisis أواسيس	

حرف P

هـذا الحرف لا يوجد له نظير فى العربيـة ولـكنه خاص باللغات الهندية الأُروفية وينقل الى العربية بأقرب الحروف نطقا اليه وهو الفاء بناء على الخاصية الآتية

خاصيـة

قال أحمد بن فارس: حدثنى على بن أحمد الصبّاحى قال سمعت ابن دُرَيْد يقول :حروف لا تتكلم بها العرب الاضرورة فاذا اضطروا اليها حوّلوها عندالتكلم بها الى أقربَ الحـروف من مخارجها ، فمن تلك الحروف الحرف الذى بين الباء والفاء مثل بور (بالباء الفارسية) اذا اضطروا قالوا فُور

وأيضا فان الباء والفاء هما من الحروف التى يطرد فيها الابدال مثاله

Porphyrius فورفوريوس	Pethion فثيون
Pericles أفرِقلس	Pythagoras فوثاغورَس
Platon أفلاطون	Philippus فيليفوس

أوفاطور Eupatore — أنطيفطر Antipater

فروبُس Probus — فاناوس Pénée

قلاوفطره Cléopatre — فيليفاطر Philipater

أرِسْطيفُّوس Aristippe — إفَّرْخُس Hipparque

كروسيفُس Chrysippe — فورُون Pyrrhon

أفَّانن (جبل) Appenin — فسوفِس Psophis

ألفس (جبل) Alpes — فولس Paule

وأحيانا تقلب باء عربية عند ما يلزم التخفيف مثل

ابقْراط Hippocrate — أنبذقلس Empédocle

حرف Q

هذا الحرف يرسم قافا لانه فى موضع C اللاطينية او Ch اليونانية خى مثاله

أطيقي Attique — قوزيقُس Cyzique

قنطوس Quintus

حرف R

هذا الحرف يماثل اخوانه فى كل اللغات ويرسم فى التعريب راءً مثاله

روفس Rufus — أرسطوفنُس Aristophanus

قلاوفطرة Cléopatre — أغنور Agenor

وفى بعض الاحيان تقلب لاماً مثال Roderic لذريق لقرب مخارجهما

حرف S

يرسم سيناً بالعربية وفى بعض الاحيان صاداً ويرسم شيناً فى النادر مثاله

Simplicius سنبليقيوس — Socrate سقراط
Messène مَسَّانا — Erosistratés أراسيسطراطس
Thémistius ثامسطيوس — Eusthate أسطات
Stephans اسطفانس او اصُطُقَن — Hypsiclis أُفسقلاوس
Sicile صقلية — Sclave صقلاب
Lascaris لشكرى — Alphonse ألفنش
Crètes اقريطش — Leptes لَبْطش

حرف T

ينقل الى العربية طاء ونادراً ينقل تاء مثاله

Antipater أنطيفَطر — Tati طاطى
Galatie غالاطيا — Titus طيطوس
Timée طيماوس — Talent طالنط (١٢٥ رطلا)
Béotie باوطيا

والحرف المركب th ينقل الى العربية ثاء مثاله

Théon ثاؤن — Théophraste ثاؤفرَسطس
Thales ثالس — Thémistius ثامسطيوس
Théodosius ثاوذسيوس — Thèodorus ثاوذورس
Thessalus ثاسلوس

اذا تقدم هذا الحرف Th وهو لسانى حرفُ لسانى آخر مثل S وكلاهما له صفير فينقل Th طاء لتعذر النطق بحرفين متتالبين من نطق واحد مثاله

Eusthates أُسطات — Borysthène بورُسطانس

حرف U

ينقل هذا الحرف واواً مثاله

Lycus لوقوس — Thapsus ثافسوس

Mauritanie ماوريطانيا — Europe أوروفا

حرف V

ينقل الى العربية واواً او باءً مثاله

Valentianus وَلَنطيانوس — Valérianus والاريانوس

Sévères سوَرس — Sévérianus سوَرْيَانوس

Sclave صقلاب — Norvège نُرْباغة

Elvire أَلبيرة — Vitellius بيطاليوس

Jovinianus يوبنيانُس — Novatus نَاباطس

Juvenalis يوبنالس

وفى بعض الاحيان يهمل هذا الحرف فى أول الكلمة ويعرب مابعده مثاله Vesposianus أسفُسيانوس أو يزاد عليه همزة لتسهيل النطق على اللسان مثاله Valérianus أُوَلاريانوس

حرف W

هذا الحرف لاوجود له فى اللغة اليونانية ولافى اللغة اللاطينية وان وجد فى الاخيرة فهو مقلوب عن حرف V وهو شائع فى اللغات الاخرى المستحدثة من هاتين اللغتين فهو يعامل فى النقل الى العربية معاملة حرف V والغالب أن يرسم واوا

حرف X

يرسم بالعربية كما ينطق أى إكْس او أقس مثاله :

Anaxagoras أَنَكْساغورس — Anaximenes أَنَكْسيانُس

Maxantius مقسنطيوس — Maximanus مقسيانوس

Dux دُوقس

حرف Y

ينطق هذا الحرف باليونانية ou, u (أو) وينقل واواً الى العربية أو يضم ما قبله مثاله :

Phrygie فروغيا — Lycie لوقيا

Illyrie إِللوريا — Cyclades قوقلادس

Cyrène قورانِي — Mysie موزيا

Sibylla سيبولاّ — Byzantie بوزنطية

Ancyre أنقُره — Scythie سقوتيا

Anticyre أنطيقور — Libye ليبُوا

حرف Z

ينطق فى كل اللغات زاياً وينقل الى العربية كذلك مثاله

Zenon زينون

خاصيّة

من سنن العرب الحذف، قال ابن جنى(١) قد تحذف الهمزة نحو ناس وأصله أناس فحذفت الهمزة تخفيفا على غير قياس، وأقول أن العرب اتبعت فى تعريب الكلمات الأعجمية هـذه السُنّة تخفيفا للنطق كدأبهم فى التسهيل على لسانهم فقالوا :

Apamia قامية (بلدة) — Iconium قونية

Eüsope زُوفا (نبات) — Episcopus أسقف

Thessalonique صلونيقى

(١) التصريف الملوكى

قاعدة

اذا تشابه كلمتان أعجميتان في التعريب وان اختلفتا في رسمها الأصلي تضاف الى كل من الكلمتين المعربتين صفة تميز احداهما من الأخرى مثاله

Hysope زوفا يابس (نبات)   Oesype زوفا رَطْب (نبات)

آخر الكلمة المعربة

من الأمثال التي ذكرتها للاستشهاد يرى فرق بين لفظها العربي ولفظها الافرنجي في الانتهاء فهذا الاختلاف البسيط منشؤه أن المعرَّب أعرب عن الاصل اليوناني ولو كتبته على أصله للزمني حروف يونانية ومطابعنا على غير استعداد لذلك على أنه من السهل المطابقة بين الشكلين

وقد استخلصنا قاعدة من ذلك وهي أن كل كلمة تنتهي بحروف um وكانت يونانية الاصل ترسم بالعربية ون لانها مقلوبة عن on وهو الانتهاء العادي للكلمات اليونانية التي ليست بمذكر ولا مؤنث مثاله

Amomum أمومُن حَماما (نبات)   Ocimum أقيمُن (باذروج)

Sisymbrium سيسمبريون (حرف الماء نبات)   Erysimum أروسيمُن (تودَرى)

Myriaphyllum مرِيا فُلُن (حَزَنْبَل نبات)   Cirsium قِرْسيون (ذنب السبع)

Buniun بونيون أرقطيون (نبات)   Lycium لوَقيون (حُضُض الماء)

Hélénium ألانيون راسن (نبات)

تنبيـه

جميع القواعد التي ذكرتها هي التي دلّ عليها الاستقراء المتواصل وهي لاتخلوا أبداً من استثناء والعمدة فيه على سهولة النطق على اللسان ومقاربته للأوزان والخصائص العربية ، وقد يعترض على بعض تلك القواعد بصور مختلفة أتت بها الكلمات في المؤلفات العربية، فدفعا لهذا الاعتراض أقول ان منشأ هذا الاختلاف

أحد أمرين، الاول أن التعريب فى ابتداء الامر كان مطابقا لهذه القواعد وانما كثرة النسخ هى التى أوجدت التحريف والتصحيف

الثانى أنه كلما طال الزمن ضعفت السليقة العربية وأهملت هذه القواعد أو تهاونوا فيها حتى قرّبوا بين المعرّب والأعجمى ومجرد النظر فى قديم المؤلفات وحديثها والمقارنة بينهما يُثبتان ذلك، وباتباع تلك القواعد يسهل جدا تصحيح كثير من المعربات وردُّها الى الوجه الصحيح

وان الكلمات التى سقتها أمثالا للتعريب هى أسماء أعلام مشهورة فى التاريخ والعلم فهى اما عَلَمٌ على ملك عظيم أو أمير كبير أو فيلسوف مشهور أو على بلد من البلدان أو قطر من الأقطار التى اشتهرت فى التاريخ وما كان منها اسماً لنبات فقد ذكرت ذلك بجانبه حتى يسهل ادراكه وكلها مأخوذة عن أشهر المؤلفات العربية وأعظمها تدقيقا

وانى لا أدّعى العصمة والكمال فيما ذكرت فقد أكون سهوت عن شىء أو غابت عنى أشياء فلى من حلم أهل الفضل وتسامحهم أكبر شفيع

تم تبييضه فى ليلة الأربعاء لثمان بقين من المحرم سنة اثنين وأربعين وثلاثمئة وألف من الهجرة النبوية الموافق أربع خلت من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٣

والحمد لله على كل حال



بيان الخطأ والصواب

خطأ	صوابه	سطر	صفحة
انتزغته	انتزعته	١٤	٥
لتذليله	تذليله	٧	٥
والأرهاق	والارهاف	١٥	٧
والثاء	والتاء	١٤	١٤
فعلة	فُعَة	٢١	١٦
بجزف	بحذف	٢٣	١٦
تؤوية	تؤويه	١٦	٢٩
مَخرج	مُخْرِج	١٩	٣٣
ليسوهم	وهما	١٣	٥٥
الالهين	الا لـهيين	١٩	٦٦
رائيهم	رأيهم	٩	٦٩
طبعتين	طبيعتين	١٦	٧١
لهة	لهجة	٢٣	٧٦
الحامين	الحاميين	١٩	٧٨



فهرست

صفحة

صفحة

